مقولة الكم بين الأشاعرة والفلاسفة

دكتـــور

رفعت عبد الرحمن علي عبد الرحمن

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين

بالقاهرة جامعة الأزهر

CamScanner

CamScanner

الملخص

عنوان البحث: مقولة الكم بين الأشاعرة والفلاسفة

للباحث: رفعت عبد الرحمن علي عبد الرحمن / المدرس بقسم العقيدة والفلسفة–بكلية أصول الدين القاهرة –جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني:

ملخص البحث: في خضم النزاعات الفكرية بين الفلاسفة والمتكلمين –عامة وأهل السنة الأشاعرة خاصة–قد يغيب عن ملاحظة الكاتبين في هذا المجال الأسس الفكرية التي أنطلق منها الفلاسفة لبناء صرحهم الفكري، فالبيت الفكري يستند على الدليل المؤسس على المقولة. الأمر الذي وقع عندي موقع الباعث الحثيث على إفراد مقولة الكم ببحث خاصّ يتناولها بشيءٍ من العناية والتفصيل؛ لارتباطها ببعض القضايا المهمة التي يتخالف فيها رأي الأشاعرة والفلاسفة، ومحاولة الإجابة عن بعض التساؤلات ومنها: ما تعريف الكم وما أقسامه اجمالًا وتفصيلًا؟ وما الأصل الذي انطلق منه القول بقدم الزمان؟ وما الأصل الذي بنى عليه الفلاسفة قولهم بنفي الخلاء؟

وقسّمتُ البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدّمة: فضمّنتُها مشكلة البحث والباعث عليه، وخطته، والمنهج المتبع فيه. وأما المباحث الثلاثة: فأولها: في التعريف بالمقولات وأصلها وفوائد العلم بها، والجوهر والعرض. وثانيها: في الكم وأقسامه. وثالثها: الكميات وجودًا وعدمًا. وأما الخاتمة: فجعلتها للنتائج التي انتهى إليها البحث.

واعتمدتُ في بحثي هذا على المنهج التأريخي، والوصفي التحليلي، والاستقرائي المقارن، والنقدي.

CamScanner

أهم النتائج: الخلاف في وجود الكم في الخارج وعدم وجوده هو أصل الخلاف في المكان والزمان والخلاء. وتعريف الزمان والمكان عند الفلاسفة جعلهما كمًا، وأدى للقول بقدم الزمان والعالَم .

الكلمات المفتاحية: المقولات الكم ، المكان الزمان الخلاء ، الخط السطح الكم بالذات ، الكم بالعرض.

CamScanner

space among philosophers made them quantities, and led to the .saying about the eternity of time and the world

Keywords: Categories, quantity, space, time, space, line, surface, .quantity in itself, quantity by accident

CamScanner

Abstract
Research Title: The Concept of Quantity between the Ash'aris and Philosophers
Researcher: Refaat Abdul Rahman Ali Abdul Rahman / Department of Creed and Philosophy - Faculty of Fundamentals of Religion, Cairo - Al-Azhar University, Egypt
:Email
Research Summary: In the midst of intellectual disputes between philosophers and theologians - in general and the Sunni Ash'aris in particular - the intellectual foundations from which philosophers set out to build their intellectual edifice may be overlooked by writers in this field, as the intellectual house is based on the evidence established on the concept. The matter that occurred to me was the urgent motive to devote a special research to the concept of quantity that addresses it with some care and detail; due to its connection to some important issues in which the Ash'aris and philosophers differ, and an attempt to answer some questions, including: What is the definition of quantity and what are its divisions in general and in detail? What is the origin from which the saying about the eternity of time was launched? What is the origin on which philosophers built ؟their saying about the denial of emptiness
I divided the research into: an introduction, three topics, and a .conclusion
As for the introduction: I included in it the research problem, its motive, its plan, and the methodology followed in it. As for the three topics: The first: In defining the categories, their origin, and the benefits of knowing them, and the essence and the accident. The second: In quantity and its divisions. The third: Quantities, existence and nonexistence. As for the conclusion: I made it for the results that .the research reached
In this research, I relied on the historical, descriptive analytical, .comparative inductive, and critical methods
The most important results: The disagreement over the existence of quantity in the outside world and its nonexistence is the origin of the disagreement over space, time, and space. The definition of time and

CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

الحمد لله المتعالي عن الكم والكيف، فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فالعقل من أفضل النعم الإلهية على بني آدم، ولكن إعمال العقل في الكتابة في التصنيفات الدقيقة من الأمور الصعبة، والأصعب أن ينصب ذلك على علم الأفكار والمعاني.

فالمقولات هي اللبنات الكلية الأولى التي يتألف منها تصور الإنسان للعالم الذي يعيش فيه، ويتحدد بها طريقة وكيفية تعامله مع غيره من بني نوعه، بل ومع الموجودات الأخرى، فالقواعد النحوية تحدد كيفية ضبط اللسان في مخاطبة الأخرين، والمقولات هي التي تحدد المفردات التي يعبر بها المفكر عن رأيه لغيره، وطريقة مناقشته لرأي غيره؛ فهي القوالب الفكرية الكلية التي يتصورّها ويُصدّق بها. فمن يبحث في الطبيعيات كالمكان والزمان والحركة لا يمكن له صياغة تصوراته وتصديقاته إلا بناء على تعقله للمقولات أو الأجناس العالية التي يتركب منها العالم ويركن إليها في حركاته الجزئية.

وظهرت المقولات في الأوساط الإسلامية عند ترجمة كتاب المقولات لأرسطو[١] مع بداية المرحلة الثانية للترجمة في العصر العباسي، وبعدها أخذ الفلاسفة يتدارسون علم المقولات بين الشرح والتلخيص والتأليف، فلم يبدأ القرن

(١) أرسطو فيلسوف ولد (٣٨٤)ق م في مدينة أسطاغير، وتوفي في(٣٢٢)ق م. يراجع معجم الفلاسفة لجورج طربيشي(صـ٥٢) ط٣/ دار الطليعة بيروت٢٠٠٦م.

CamScanner

الرابع الهجري إلا وقد لمع نجم علم المقولات في الأوساط الإسلامية[١]

وقد تُبحث المقولات في علم المنطق، لأنه يبحث في التصورات والتصديقات، أو في المعقولات الثانية[٢]، فالقضية يُعتمد فيها على مفهوم من مفاهيم المقولات. وعليه فالمقولات من أهم أسس التفكير.

(١) بدأت المرحلة الأولى للترجمة مع أبي جعفر المنصور من(١٣٦هـ)عندما أمر بترجمة كتاب أقليدس، والثانية بدأت مع الخليفة المأمون(١٩٨هـ) وأول من ترجم كتاب المقولات لأرسطو للعربية هو محمد بن عبدالله بن المقفع نقلا عن الفارسية، ثم رفض حنين بن اسحق إلا أن يأخذ من اليونانية رأسًا فترجمه ثانيةً، ونُقلت معه بعض شروحه كشرح الاسكندر الأفروديسي وفرفوريوس، وبدأ اسحق بن حنين والكندي والفارابي في الكتابة في المقولات، وتابعهم الشيخ الرئيس مضيفا على المقولات الأرسطية. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة(صـ٦٧٩)ط: دار الكتب بيروت بدون، وتاريخ الحكماء للقفطي(صـ٣٥) ليبسك ١٣٢٠هـ، الفهرست لابن النديم(صـ٣٤٧-٣٥٨) القاهرة ١٣٤٨هـ.

(٢) الفرق بين المعقولات الأولى والثانية: **أن الأولى** هي طبائع المفهومات المتصورة من حيث هي هي، أو المفاهيم الكلية أو الماهيات التي يتلقاها الذهن من الخارج، كمعنى السواد الكلي الموجود في الذهن. **والمعقولات الثانية** هي التي ليس لها ما يوازيها في الخارج، فليست صورا للحقائق بل صفات وأحوال للأشياء أو للمعقولات الأولية. **والثانية إما فلسفية** إذا كان الاتصاف بها بالخارج وعروضها في الذهن كالذي نقرأه في الفلسفة عن العلة والمعلول فمفهوم النار مثلا لا يتصف بالعلية، بل نفس حقيقتها الخارجية تتصف بها ضرورة أنها في الخارج علة للحرارة، وإن كان عروض العلية في الذهن فالاتصاف بالخارج، **وإما منطقية** إذا كان الاتصاف بها في الذهن وعروضها في الذهن، فهي صفات للمفاهيم الذهنية للأشياء بحيث لا تتصف بها إلا في الذهن، كالذي نقرأه في المنطق كالنوعية والجنسية، فاتصاف الانسان بالنوعية –أي مفهوم الإنسان نوع– في العقل وعروضه له في العقل أيضا . عيون الحكمة لابن سينا(صـ٤١-٤٣) بتحقيق عبد الرحمن بدوي ط: وكالة المطبوعات الكويت ١٩٨٠م، وإلهيات الشفاء له أيضا(صـ١٠) تقديم د إبراهيم مدكور/تحقيق: الاب قنواتي، سعيد زايد، المطابع الأميرية القاهرة

CamScanner

ولو اتفق الجميع في تصوراتهم عن الأجناس العالية للموجودات، والقوالب الفكرية الكلية التي يتصورونها. وظهر ذلك في تصديقاتهم وأحكامهم؛ لترتب على ذلك الخير الكثير للإسلام والمسلمين بل وللبشرية أجمع. ولكن اختلفوا الأَجْنَاسَ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ لِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ هود/ عجز الآية (١١٨) وصدر الآية (١١٩)

- **مشكلة البحث والباعث عليه**

في خضم النزاعات الفكرية بين الفلاسفة والمتكلمين –عامة والأشاعرة خاصة–قد يغيب عن ملاحظة الكاتبين في هذا المجال الأسس الفكرية التي انطلق منها الفلاسفة لبناء صرحهم الفكري، فهذا ابن رشد[١] مثلًا يقبل كل ما قدمه أرسطو من تفسير لكل مقولة في كتابه المقولات؛ وليس هذا لشيء إلا لأنه يرى أن كتاب المقولات لأرسطو هو كتاب يؤسس لصناعة البرهان[٢] فالبيت الفكري يستند على الدليل المؤسس على المقولة.

الأمر الذي وقع عندي موقع الباعث الحثيث على إفراد مقولة الكم ببحث خاصّ يتناولها بشيءٍ من العناية والتفصيل؛ لارتباطها ببعض القضايا المهمة التي يتخالف فيها رأي أهل السنة الأشاعرة مع الفلاسفة، ومحاولة معرفة أسس الخلاف بينهم في المكان والزمان، ومحاولة لبعث روح التطوير الفكري في علم

١٩٦٠م، الحاشية الثانية للعدوي على الجواهر المنتظمات للسجاعي(صـ٦) ط٣ الحلبي ١٩٧١م.

(١) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، ويعرف بابن رشد الحفيد (٥٢٠ –٥٩٥هـ) عالم، حكيم، ولد بقرطبة وولي قضائها، وتوفي بمراكش. له: تلخيص المقولات والبرهان والعبارة لأرسطو. يراجع: معجم الفلاسفة لطرابيشي (صـ٢٤).

(٢) تلخيص كتاب المقولات لابن رشد الفقرات(٤٩، ٥٩، ٦٠، ٦١، ١٠٩، ١١٣) (صـ٣١، ١٠٧، ١١٦، ١١٠) تحقيق د محمود قاسم/ط: الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٠م.

CamScanner

الكلام السنّي، الذي صوّبت إليه سهام النقد والاتهام بالجمود والفقر، لا أقول: من أعدائه فقط، بل –للأسف الشديد–من بعض المنتسبين إليه، الذين تعالت أصواتهم في هذا الوقت بعقم البحث في المجال الكلامي برمّته، وبضرورة غلق البحث فيه، وتوجيه الباحثين إلى مجالاتٍ أخرى.

وبالإضافة إلى هذا الباعث؛ فقد توافر للكتابة في هذا البحث باعثٌ آخر، وهو إشارة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد ربيع جوهري إلى أهمية البحث والكتابة في هذا الموضوع. الذي أسأل الله تعالى أن يوفّق فيه؛ فهو سبحانه المتفضّل الوهّاب، يرزق من يشاء بغير حساب.

إشكاليات البحث

يدور البحث حول الإجابة عن أسئلة متعددة أهمها: ما تعريف الكم وما أقسامه اجمالًا وتفصيلًا؟ وما الأصل الذي انطلق منه القول بقدم الزمان؟ وما الذي يترتب على ثبوت مقولة الكم في الخارج؟ وما الأصل الذي بنى عليه الفلاسفة قولهم بنفي الخلاء؟

- **خطة البحث**:

قسّمتُ البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدّمة: فضمّنتُها مشكلة البحث والباعث عليه، وخطته، والمنهج المتبع فيه. **وأما المباحث الثلاثة:**

فأولها: في التعريف بالمقولات وأصل البحث فيها، وفوائد العلم بها، ووجه حصرها، والجوهر والعرض وبعض أحكامهما.

وثانيها: في الكم وأقسامه.

وثالثها: الكميات وجودًا وعدمًا بين الأشاعرة والفلاسفة.

وأما الخاتمة: فجعلتها للنتائج التي انتهى إليها البحث.

CamScanner

- **منهج البحث**: استخدمتُ في هذا البحث:

١- **المنهج التأريخي:** وذلك بذكر الآراء والترجمة لأصحابها.

٢- **المنهج الوصفي التحليلي:** استخدمته في جزء العرض والتحليل لآراء بعض الحكماء، وكذا آراء بعض أئمة الأشاعرة.

٣- **المنهج الاستقرائي المقارن:** استخدمته في التتبع والجمع والمقارنة بين آراء بعض الأشاعرة وبعض الفلاسفة؛ لتظهر جوانب الاتفاق والاختلاف؛ بحيث تتهيّأ بعد ذلك مهمة النقد.

٤- **المنهج النقدي:** وهو المنهج الذي عوّلت عليه في جانب الموازنة والتعليق بين آراء الفلاسفة والأشاعرة. بحسب ما تمدّ به معطيات كل جزئية.

والله تعالى من وراء القصد والهادي إلى طريق مستقيم.

CamScanner

المبحث الأول

- **تعريف المقولات:**

المقولات لغة جمع مقولة بمعنى الكلام المقول (اسم مفعول) ومنه قولهم: «كلمة مقولة: قيلت مرَّة بعد مرَّة» [١].

ومقولة بمعنى محمولة، فهي مشتقة من القول بمعنى الحمل[٢] فالحقيقة المحمولة التي تُسند لغيرها يقال لها مقولة فيقال: محمد جوهر، والعدد كم، والأبوة والبنوة من مقولة الإضافة، والركوع والسجود وضع.[٣]

ووجه إطلاق المقولات على المحمولات؛ إما أن المحمول مقولًا على موضوعها، فالقول عند المناطقة بمعنى الحمل؛ فالكُليّ يقال بمعنى يُحمل.[٤] أو لكونها بحيث يتكلم فيها ويبحث عنها إذا كان المقول بمعنى الملفوظ. والتاء إما للنقل من الوضعية إلى الاسمية. وإما للمبالغة في المقولة.[٥] فكل حادث– موجود بعد عدم– يُحمل عليه أو يسند إليه واحد من المقولات.

(١)لسان العرب لابن منظور (جـ١١/صـ٥٧٥) ط:٣/ دار صادر– بيروت ١٤١٤هـ

(٢)معجم اللغة العربية المعاصرة لد/أحمد مختار وفريقه(جـ٣/صـ١٨٧٣)ط١عالم الكتب ٢٠٠٨م. مناهج البحث في اللغة/ تمام حسان(صـ٨)ط: مكتبة الأنجلو المصرية بدون.

(٣) حاشية العطار على شرح السجاعي لنظمه(صـ٦)ط:١المطبعة الأزهرية ١٣١٣هـ

(٤) لا خلاف في حمل الكلي، وإنما الخلاف في حمل الجزئي وعدمه. قال الجرجاني بمنع حمل الجزئي، فقولنا هذا محمد وإن كان المحمول فيه جزئيا لفظًا، فهو كليٌ تأويلًا؛ فيؤول بمسمى محمد، والمسمى كليٌ لصدقه على محمد وغيره، وأجاز الحمل للجزئي الجلال الدواني وقال يُحمل الجزئي كالكلي. حاشية العطار على السجاعي(صـ٦، ٧)، وقارن البصائر النصيرية في المنطق لابن سهلان(صـ٣١– ٣٢) بتحقيق د عبد الحليم محمود/ ط: صبيح القاهرة ١٣١٦هـ. والتعريفات الجرجاني(صـ٦٧)ط: الحلبي ١٩٣٨م.

(٥) منطق أرسطو كتاب المقولات لأرسطو (جـ١/صـ٦) ترجمة اسحق بن حنين/بتحقيق عبد الرحمن بدوي ط: دار الكتب المصرية ١٩٤٨م. البصائر النصيرية (صـ ٣٩، ٤٠)

CamScanner

وفي اصطلاح الفلاسفة هي «الأجناس العالية للممكنات الموجودات»[١] فالأجناس العالية التي تحيط بالموجودات الممكنة، أو المحمولات الأساسية التي يمكن أن تُسند الى موضوع تسمى بالمقولات. هذا عند أرسطو ومن تبعه. والتعريفات السابقة تقودنا إلى الآراء في أصل البحث في المقولات:

- **أصل البحث في المقولات**

الآراء في أصل المقولات ثلاثة: منطقي أو لغوي أو أنطولوجي وجودي

الرأي الأول: اختاره ابن سينا[٢] وهو أن أصل البحث في المقولات يرجع إلى علم المنطق، فهي تحلل علاقة المحمول بالموضوع فهي أجناس للحمل المنطقي، والمقولات متميزة فيما بينها وفق طرائق الحمل. وتقال المقولات على الموجودات أي تحمل على الأشياء، ولفظ قاطيغورياس يساوي مقولة، واستعمله أرسطو ليدل على الحمل في الحكم والقضية، فكأن أرسطو وضع مقولاته ليحل مشكلة الحمل، فالمحمول إما أن يكون صفة ملازمة لمادة الموضوع فهو الكم، أو ملازمة لصورة الموضوع فهو الكيف، أو بالإضافة الى غيره فهي الإضافة.... [٣]

(١) الحروف للفارابي(صـ٢٨)تحقيق محسن هنداوي/ط: بيروت ١٩٧١م، الشفاء كتاب المقولات لابن سينا(جـ١/ صـ٤٩) تقديم د. إبراهيم مدكور/تحقيق الأب قنواتي، ومحمود= =الخضيري، وأحمد الأهواني، سعيد زيد/ط: هيئة المطابع الاميرية ١٩٥٩م ومعيار العلم للغزالي(صـ ٣٢٨)تحقيق: د سليمان دنيا ط: دار المعارف ١٩٦١م.

(٢)هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، يلقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف، قيل ولد في بخارى (٣٧٠هـ) ومات (٤٢٨هـ) له: الإشارات والتنبيهات، النجاة، الشفاء، منطق المشرقيين، يراجع: معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي(صـ٢٦).

(٣) منطق الشفاء كتاب المقولات كاملا لابن سينا وبالأخص(جـ١/صـ٦٢) .

CamScanner

والرأي الثاني للفارابي[١] أن البحث في المقولات يرجع إلى البحث في اللغة، فالمقولات مأخوذة من قواعد اللغة اليونانية عند أرسطو وتتفق مع العربية، فالبحث في الألفاظ لذاتها من عمل اللغويين، ولا سبيل إلى فهم اللفظ بدون فهم معناه، فالاسم كالجوهر، والصفة كالكيف والعدد كالكم، وظرف المكان كالأين، والفعل للمجهول كالانفعال وللمعلوم كالفعل.... [٢]

والرأي الثالث أن البحث في المقولات مستمد أو ناظرٌ إلى أحوال وجودها في الجوهر الأول، فللمقولات في الموجودات أصلٌ أنطولوجيٌ، وغرض العلم بها إحصاء وتصنيف الأشياء التي تسمى الأكثر شمولًا–الأجناس–والتي يمكن أن تندرج الموجودات تحتها، فالموجود جوهر وعرض، والعرض عام وخاص، وللعام أنواع. وعليه فأرسطو وضع مقولاته لحاجته لتعديد الموجودات وتصنيفها. وهذا الرأي يرفضه الشيخ الرئيس بدون تصريح فيقول؛ فـ"أرسطو لم يُوجد في حد–تعريف–واحد منها أنه عرض".[٣]ويميل أحد الباحثين الأكابر[٤] برأي الشيخ الرئيس إلى الرأي الثالث دون أن يلتفت للنص السابق.

ولو جاز لي برأي لقلت: إن للمقولات أصلًا وجوديًا في الموجودات أولًا،

(١) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، الفارابي، فيلسوف، ولد (٢٦٠هـ) و(ت٣٣٩هـ) له: الفصوص، إحصاء العلوم ، آراء أهل المدينة الفاضلة. يراجع: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (صـ١٨٢) ط١/مطبعة السعادة ،١٣٢٦هـ.

(٢)إحصاء العلوم(صـ٦٠، ٦١)بتحقيق د عثمان أمين ط٢/دار الفكر العربي١٩٤٩م.

(٣) الشفاء المنطق ١–المدخل لابن سينا(جـ١/صـ٦٢)، وقارن منطق أرسطو لأرسطو (جـ٢/صـ٤٩٧) ترجمة أبي بشر بن متى، تحقيق عبد الرحمن بدوي/ ط: وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم بيروت ١٩٨٠م. وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (صـ١٣٥). لجنة التأليف والترجمة والنشر . مصر ١٩٣٦م.

(٤) أ. د/ إبراهيم مدكور في مقدمته على منطق الشفاء ك المقولات لابن سينا(جـ١/صـ٦)

CamScanner

وأصلًا منطقيًا ثانيًا؛ ويؤيده تناول أرسطو للمقولات في كتاب المقولات على أنها أجناس الحمل، وتناوله لها في كتاب ما وراء الطبيعة على أنها أجناس الوجود، ويقف عدم المعرفة باللغة اليونانية عائقًا أمام البحث عن الأصل اللغوي للمقولات في اليونانية خاصة. مع ملاحظة أن الألفاظ قوالب المعاني.

هذا وقد تطور تعريف المقولات في الفلسفة الحديثة فذُكر فيه أنها: التصورات الكلية الأساسية التي يشملها العقل الخالص، فصارت قوالب أو صورًا قبلية للمعرفة تمثل الجوانب الأساسية للتفكير نظريًا، أو استدلاليًا.[١]

- **موضوع علم المقولات**

وموضوع علم المقولات الممكنات الموجودة من جهة كونها جوهرًا أو عرضًا أو كما، أو كيفا، أو إضافة أو غير ذلك؛ فإذا كانت الفلسفة تبحث في حقائق الأشياء على ما هي عليه قدر الوسع البشري، وكانت المقولات هي الأجناس العالية للممكنات الموجودة في الخارج، فلا تبحث المقولات إلا في الممكن الموجود من جهة كونه جوهرًا أو عرضًا، ولا تبحث المقولات في الموجود الواجب–فذات الباري ليست جوهرًا وصفاته ليست أعراضًا– ولا في المعدوم ممكنا أو مستحيلًا، فعلم المقولات فن من فنون الفلسفة؛ فالمقولات أخص والفلسفة أعم؛ فالفلسفة تبحث في المحسوس وما وراء المحسوس، أي الواجب والممكن والمستحيل.[٢]

- **فوائد معرفة علم المقولات**

لعلم المقولات فوائد عظيمة لعلماء الدين؛ لأنهم عندما يريدون أن يستدلوا على وجود الإله جل شأنه يقسمون العالم إلى جواهر وأعراض، ثم يثبتون

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم(صـ١٢٠، ١٢١).

(٢) حاشية العطار على شرح السجاعي لنظمه (صـ٦، ٧).

CamScanner

حدوثها كلها، فعندئذ يتم لهم إثبات حدوث العالم المكون من الجواهر والأعراض، وبعد هذا يثبت وجود الإله المحدث لهذا العالم.

فمؤكد أن من يعتقد باتصال الزمان والمادة معًا ليس كمن يعتقد باتصال الزمان وتركيب المادة من أجزاء لا تتجزأ، ومن يقول بتركيب العالم من جواهر وأعراض تحل فيها وكلاهما حادث، ليس كمن يقول إن العالم كله جواهر تتألف وتتركب بعضها مع بعض.

وهذا اسحق نيوتن[١] يصوغ نظرياته في الحركة والجاذبية وغيرهما بناء على تصوره أن الزمان والمكان مطلقان ممتدان إلى ما لا نهاية، وجاء بعده اينشتاين[٢] وأنكر هذا وقال بنسبية الزمان والمكان وتناهيهما، وما كان ذلك إلا لاختلاف كلٍّ منهما في كيفية النظر في الأجناس العالية للموجودات وهي المقولات، ولكنهما قطعًا اتفقا على أهمية اعمال العقل فيها[٣].

والمقولات تمكننا من استقراء الموجودات الممكنة بقدر الطاقة، ومعرفة أنها إما جواهر أو أعراض، ومعرفة أحكام كل منهما بما فيه غناء للعقل، وتنوير للبصيرة، وعون على تفهم ما خلفه لنا الأسلاف من كتب قيمة في العلوم المختلفة، لاسيما كتب الأصول والمنطق والفلسفة والكلام.

<u>واقتصر التسمية بالمقولات</u> على الأجناس العالية؛ فيقال: زيد إنسان،

(١)إسحاق نيوتن: انجليزي ولد ١٦٤٢م عالم فيزيائي وكيميائي ولاهوتي ومتخصص في الفلسفة الطبيعية، مكتشف (قانون الجاذبية) نشر في ١٦٨٧م(الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية) وتُوفي(١٧٢٧م) . موسوعة العلوم والثقافات (جـ٢١/ ٢٥٠) بدون.

(٢) البرت أينشتاين عالم فيزيائي الماني المولد سويسري وأمريكي الجنسية ولد ١٨٧٩م، توفي ١٩٥٥م. حاز ما تسمى بنوبل وخالف نيوتن في نسبية الزمان. يراجع النسبية بين نيوتن واينشتاين كاملا د طالب الخفاجي ط: بغداد ١٩٧٨م.

(٣) المدخل إلى فلسفة العلوم د بدوي عبد الفتاح(صـ ٢٤٥) ط: دار قباء القاهرة ٢٠٠٧م.

CamScanner

والإنسان حيوان، والحيوان جسم، والجسم جوهر. فخصت المقولات بالأجناس العالية دون غيرها من الكليات؛ لكونها أجناسًا عالية أوسع مقولية وصدقًا من غيرها المندرج تحتها، وإذا قيل هذا الشيء من مقولة كذا عُني أحد الأجناس العالية؛ لأن الشيء إذا أُطلق **ينصرف للفرد الكامل**، فالمقولات تنصرف إلى الجنس العالي الكامل في الحمل، فالجوهر يصدق على الفرد والجسم والنامي ...، ولا يصدق أحدهم عليه، فلا نقول الجوهر جسم، فلو حمل أحد أقسامه على الجوهر لأوهم انحصار الجوهر فيه، وكان حملاً للخاص على العام، وهو ممنوع. وصدق الجنس على أفراده

بمعنى: تحققه فيها وحمله عليها [١].

ولأن المقولات أجناس لزم تعريف الجنس فهو: "كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو"، وأقسامه باعتبار اندراجه تحت مفهوم أخر أو عدمه: جنس عال، وجنس سافل، وجنس متوسط، وجنس منفرد.[٢]

- **عدد المقولات وطريق ووجه حصرها**

لا خلاف بين الحكماء في عد الجوهر مقولة برأسها، والخلاف في الأعراض، فعند أرسطو ومن تبعه[٣] المقولات جوهر وتسعة أعراض، وقيل أربع الجوهر والكم والكيف والنسبة، وجعلوا النسبة جنسًا للسبع الباقية. وبعضهم جعلها خمسًا الجوهر والعرض، والعرض إما غيرُ قارِّ الذات[٤] وهو الحركة، أو

(١) مقولات البُليدي(صـ١١) بتحقيق خالد الحسيني وأبو العباس الحنبلي، بدون.

(٢) تحرير القواعد المنطقية القطب الرازي بحاشية الجرجاني(صـ١٩٧)ط:٢/بيدارقم بدون

(٣) منطق أرسطو (جـ١/صـ٦). تسديد القواعد شرح تجريد العقائد لأبي الثناء الأصفهاني (جـ2/ صـ722) ط:١ دار الضياء بالكويت ٢٠١٢م،

(٤) وقار الذات أي الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالبياض والسواد، وغير قار الذات، الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالحركة والسكون. التعريفات للجرجاني (صـ١٢٩)

CamScanner

قار الذات وحينئذ: إما ألا يُعقل إلا مع الغير وهو الإضافة، أو يعقل وحينئذ: إما أن يُوجِبَ لذاته التجزؤ وهو الكَمية، أو لا يُوجِبَ لذاته ذلك وهو الكيف، فالحركة عند هؤلاء مقولة برأسها. وذهب بعضهم إلى أن: مقولة أن يفعل وأن ينفعل اعتباريتان، فلا تندرج الحركة فيها[١] والأصح الأول.

طريق حصر[٢] الأعراض عند الحكماء هو الاستقراء الناقص لأنهم لم يتتبعوا جميع الجزئيات لإثبات الحكم الكلي. وانحصارها في التسعة يعتمد على أن التسعة هي أجناس عالية، وليس للأعراض جنس عال سواها، وكلا الأمرين ليس بيقيني؛ فالحصر يفيد ظنًا ضعيفًا. [٣]

<u>ووجه الحصر</u> عند الحكماء: أن الممكن الموجود إن كان غير محتاج إلى ما يظهر فيه فهو الجوهر، وإن احتاج فإما أن يقبل القسمة لذاته أو لا، الأول: الكم، والثاني: وهو الذي لا يقبل القسمة إما ألا يتوقف تعقله على تعقل الغير أو يتوقف، الأول: الكيف، والثاني: الأعراض النسبية السبعة وهي: الأين والمتي والإضافة والمِلك والوضع والفعل والانفعال[٤].

(١) قال الشريف: والحق أن الحركة من مقولة أن ينفعل شرح المواقف (جـ٥/صـ ٢٧)

(٢) وجه الحصر: العقلي: الذي إذا تصور العقل المَقسِمَ والأقسام لم يجوِّز قسما أخر، كالعدد زوج أو فرد، والقطعي: ما إذا تصورهما العقل جوز قسما أخر لكن وجد فيه دليل قطعي بقطع ما جوزه كالكلمة في الثلاثة، والاستقرائي: الذي إذا تصورهما العقل جوز قسما أخر ولم يوجد دليل قطعي يمنع ما جوزه العقل ولكنه تتبع جميع أقسامه ولم يوجد خارجا من أقسامه. نشر الطوالع للمرعشي ساجقلي زادة (صـ١٢٠) ط:١/ الحلبي ١٩٢٤م.

(٣) شرح المواقف (جـ٥/صـ٢٢، ٢٣، ٢٧).

(٤) واعترض على الحصر بالوحدة والنقطة. فالنقطة: شيء ذو وضع–تقبل الإشارة الحسية– ولا يقبل القسمة، لا فعلاً، ولا فرضًا، ولا وهمًا، وعرفت الوحدة بكون الشيء لا ينقسم إلى أمور متشاركة في الحقيقة، وضدها الكثرة. والاعتراض ليس واقعًا عند المتكلمين فالنقطة: عين الجوهر الفرد، والحصر للأعراض، والجوهر الفرد ليس بعرض فلا ينتقض، والرد: الوحدة

CamScanner

وتسمى بالأعراض النسبية؛ فالمقولة يتوقف تعقلها على تعقل شيئين، فالإضافة يتوقف تعقل البنوة فيها على تعقل الأبوة وبالعكس. والمتي: حصول للشيء في الزمان، فهو نسبة بين الشيء وبين الزمان، وهكذا.

- **الاعراض التسعة وتعريفها اجمالاً**

الجوهر مقولة برأسها، والعرض تسع مقولات: وهذه التسعُ معروضات للعرض، فالعرض يقال عليها قولًا عرضيًا. فهو بالنسبة لها(عرض عام) كالماشي بالنسبة للإنسان. فلا ينافي كونها في حد ذاتها أجناساً عالية؛ إذ ليس داخلاً في حقيقتها، حتى يكون هو الجنس العالي لها. وجُمِعت في:

زَيْدُ الطَّوِيلُ الأَزْرَقُ ابْنُ مَالِكٍ فِي بَيْتِهِ بِالأَمْسِ كَانَ مُتَّكِي

بِيَدِهِ غُصْنٌ لَـوَاهُ فَالْتَـوَى فَهَذِهِ عَشْرُ مَقُـولاَتٍ سُـوَى

فأشار بـ(زيد) إلى الجوهر و(الطويل) إلى الكم، و(الأزرق) للكيف، و(ابن مالك) للإضافة. و(في بيته) للأين. و(بالأمس) للمتى. و(متكي) للوضع. و(بيده غصن) للملك، و(لواه) إلى الفعل، و(فالتوى) إلى الانفعال[1].

والمقولات لا تُعَرَّف بالحد، أو الرسم التام؛ لاحتياج هذه التعريفات إلى الجنس، وهذه المقولات أجناس عالية لا جنس ولا فصل لها؛ فالتركب من أمرين متساوين كل منهما فصل مجرد احتمال عقلي. ربما قضى العقل بانتفائه، لذلك فالأجناس (المقولات) تُعَرَّف بالرسم الناقص.[2] وتعريفهم:

مفهوم اعتباري في العقل، والمقصود بالمقولات: الوجودية، لا الانتزاعيات العقلية، «الوحدة والكثرة قال بوجودهما الحكماء، وتفاهما المتكلمون» طوالع الأنوار من مطالع الأنظار للبيضاوي(صـ١٧٥، ١٧٦) بتحقيق: أستاذنا الدكتور محمد ربيع جوهري/ ط:١/دار الاعتصام١٩٩٨م، وشرح المواقف (جـ٤/ صـ٢٧، ٣٤).

(١) مقدمات علم الكلام لأستاذنا الدكتور/ محمد ربيع جوهري (صـ٣٢).

(٢) مقدمات علم الكلام (صـ٣٢). وقارن إلهيات الشفاء لابن سينا(صـ٩٣، ٩٤).

CamScanner

الكيف: عرض لا يستلزم القسمة ولا عدمها بالذات، ولا يتوقف تصوره على غيره. و**مقولة الإضافة هي:** النسبة العارضة للشيء بالقياس إلى نسبة اخرى. والنسبة إما متخالفة في الجانبين كالأبوة والبنوة. وإما متوافقة كالأخوة والإضافة تعرض لكل المقولات.

الأين عند المتكلمين هو: حصول الجوهر في الحيز ويسمونه(الكون) أي: الحصول أو الوجود. ويقولون: إنه وجودي ويعرفون المكان بأنه: الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم. ويقسمونه إلى: الاجتماع، والافتراق، والحركة، والسكون وسيأتي بيانها. وعند الحكماء: هو حصول الجسم في المكان.

مقولة المتى هو: حصول الشيء في الزمان هو هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها لبعض، ونسبتها إلى الأمور الخارجية.

و**مقولة الملك:** هو هيئة تعرض للجسم بسبب ما أحاط به، وانتقل بانتقاله كالتقمص والتختم. والمحيط بالجسم قد يكون خلقيا كجلد الانسان. وقد يكون غير خلقي سواء كان محيطا بكله كالثواب، أو بعضه كالعمامة والخاتم.

مقولتا أن يفعل وأن ينفعل: معنى أن يفعل: تأثير الشيء في غيره مادام مؤثراً. مثل تأثير النار في الماء مادام موضوعاً عليها. ومعنى أن ينفعل: تأثر الشيء عن غيره مادام متأثراً. مثل تسخُّن الماء بالنار مادام متأثراً. واختار الحكماء التعبير بهاتين الصيغتين دون (الفعل والانفعال)؛ لأن هاتين المقولتين من الأمور المتجددة غير القارة. أي: غير المستقرة. والمفيد للتجدد هاتان الصيغتان. أما الفعل والانفعال، فيقالان للحاصل بعد الحركة. وهاتان المقولتان تتلازمان وجودًا وعدمًا.[1]

(١) يراجع في هذه التعريفات: النجاة في الحكمة الطبيعية والإلهية لابن سينا (صـ٨٠، –٨٢) ط:٢/ السعادة مصر ١٣٥٧هـ. تجريد المنطق لنصير الدين الطوسي (صـ١٣، ١٤) ط:١/ مؤسسة الأعلمي لبنان ١٩٨٨م. مقدمات علم الكلام (صـ٣٢).

CamScanner

- **الأعراض النسبية وجوداً وعدماً**

أهل السنة الأشاعرة ينكرون الأقسام السبعة النسبية، لأنها من النسب والإضافات فهي أمور اعتبارية يعتبرها العقل، لا وجودية بالوجود الخارجي واستثنوا الأين، أو حصول الجسم في المكان، فيقولون بوجوده في الخارج، واقروا بوجود الحركة، فالأين موجود وسموه بالكون، وقسموه إلى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق[١]، وقالوا: وجوده ضروري بشهادة الحس. فيتفق الفلاسفة والمتكلمون في إثبات الأين، وأنه موجود في الخارج، فلو قال الحكماء بوجود البعض ذهناً لما خالفهم المتكلمون فيه، فليس محلاً للنزاع؛ إذ المتكلمون لا ينكرون وجودها ذهناً، لكن ليس كما قال الحكماء.[٢]

وينكر الأشاعرة الكم؛ فالجسم لا وجود فيه إلا للأجزاء المجتمعة التي يتركب منها، فينكرون وجود الكم وزيادته على الجسم، فلا وجود للمقدار والعدد–وهما ماصدقات الكم– بناء على تركب الجسم عندهم من الجزء الذي لا يتجزأ، فلا اتصال بين الأجزاء، بل هي منفصلة بالحقيقة، غاية الأمر أنه لا يحس بانفصالها؛ لصغر المفاصل التي تجمعت الأجزاء عليها، ولا وجود لأمر متصل في حد ذاته هو عرض حال في الجسم، والعدد أمر اعتباري.

(١) فالأين يفسر عند المتكلمين بالكون وهو من الأعراض التي لا تختص بالحي، والكون عندهم هو حصول الجوهر في الحيز، والأكوان أربعة عندهم هي: (أ) الاجتماع: وهو حصول جوهرين في حيزين، لا يمكن أن يتخلل بينهما ثالث. (ب) الافتراق: وهو حصول جوهرين في حيزين بحيث يمكن أن يتخلل بينهما ثالث. (ج)الحركة: حصول أول في حيز ثان. (د) السكون: حصول ثان في حيز أول. والكون عند الفلاسفة حلول صورة جديدة في الهيولى. شرح المواقف (ج٥/صـ ١٣)، شرح المقاصد (ج٢/صـ١٤٩).

(٢) شرح المواقف (ج٦/ صـ ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٠).

CamScanner

وزاد بعض المتكلمين أن الأكوان محسوسة بالضرورة، فلا نشاهد إلا المتحرك والساكن والمجتمعين والمفترقين، وأما **وصف** الأربعة فلا، ولو كانت محسوسة لما اختلف فيها [١]. فالخلاف في أنها محسوسة أو غير محسوسة. فالأكوان موجودة اتفاقًا.

وعند بعض المتكلمين المقولات ثلاث: الجوهر والكيف، والأين ويسمونه الكون ويحصرونه في الأربعة –كما مر–. **ووجه الحصر** عندهم أن الممكن الموجود إما أن يتحيز بذاته أو لا، فالأول الجوهر، والثاني إما أن يتوقف تعقله على تعقل الغير أو لا، والأول الأين، والثاني الكيف [٢].

ومعمر[٣]من المعتزلة يقول بوجود الجميع الأين وغيره في الخارج، ويتفق مع الحكماء، ويقابله ابن كيسان الأصم[٤] فيقول باعتبارية جميع
النسب، ولم يستثن شيئًا وقال العالم كله جواهر ولا وجود للأعراض، فالبرودة والحرارة والضوء واللون عنده جواهر، وهذا مما تحكم الضرورة ببطلانه. [٥]

وأما الحكماء فيقولون بثبوت جميع هذه الأعراض النسبية السبع –التي مفهوماتها تتعقل بالنسبة للغير–في الخارج، بمعنى أنها وجودية، وهي: (الإضافة

(١) السلبق (جـ٥/صـ١٣، ٧٦).

(٢) شرح المواقف الجرجاني (جـ٦/صـ١٦٨).

(٣) أبو عمرو: معمر بن عباد السّلمى. من أكابر معتزلة البصرة، تفرد بأقوال، وكان زعيما لفرقة نسبت إليه هي (المعمّريّة) من تلاميذه بشر بن المعتمر. دس له ملك السند السّم فقتل مسموما سنة(٢٢٠هـ). طبقات المعتزلة لابن المرتضى الزيدي(صـ٥٤– ٥٦)، تحقيق: سوسنة ديفلد، ط٢/ مكتبة الحياة، لبنان،١٩٨٧م.

(٤) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الاصم، (ت٢٢٥هـ/٨٤٠م)، فقيه من كبار المعتزلة. اشتغل بالتفسير. له مقالات في الأصول. طبقات المعتزلة لابن المرتضى(صـ٥٦).

(٥) شرح المواقف(جـ٥/صـ٢٨)، (جـ٦/صـ١٦٨) وأبكار الأفكار(جـ٣/صـ١٥٤)

CamScanner

والأين، والمتى، والوضع، والملِك، وأن يفعل، وأن ينفعل) [١]

فالاجتهاد مستمر في المقولات، ولا قدح فيمن حذف أو أضاف بالدليل، ولايزال الفلاسفة والمتكلمون يبحثون فيها؛ لما فيه من فائدة لتفسير الممكنات.

والحق أن بعض الأعراض عدمي، وبعضها وجودي. وسنعرف بالجوهر وبالعرض وبأحكامهما اجمالًا لتناول ذلك في ثنايا البحث.

الجوهر بين الأشاعرة والفلاسفة

في اللغة: جوهر الشيء حقيقته، ومن الأحجار كل ما يستخرج منه شيء ينتفع به، واستعمال (الجوهر) فيما قابل العرض مصطلح حدث عند نقل الفلسفة من اليونانية إلى العربية[٢].

والجوهر عند الأشاعرة: هو الممكن الموجود القائم بنفسه: أي المتحيز بذاته. ليس تحيزه تابعا لغيره، فلا يقال على الواجب، ولا المستحيل، ولا الممكن المعدوم. ومعنى قيام الله بنفسه: عدم افتقاره إلى محل ولا مخصص.

أقسامه عند الأشاعرة: جوهر فرد: وهو الذي لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه. وجوهر جسم: وهو ما تركب من جزأين فأكثر. [٣]

وأما عند المعتزلة فهو: الطويل العريض العميق. فالمنقسم في جهة واحدة يسمى خطاً، وفي جهتين يسمى: سطحاً، وهما واسطتان عندهم بين الجوهر

(١) الهيات الشفاء لابن سينا (صـ١٢٨) ، شرح المواقف(جـ٦/صـ ١٦٨، ١٦٩).

(٢)المعجم الوسيط(جـ١/صـ١٤٩) مقدمات علم الكلام لـ أ. د/محمد ربيع(صـ٣٢).

(٣) شرح العقائد النسفية للتفتازاني (صـ١٦) والجوهر الفرد والنقطة الجوهرية مترادفات وهو جوهر ذو وضع- أي قابل للإشارة الحسية – لا يقبل القسمة لا قطعا ولا كسرا ولا وهما ولافرضا. والجوهر بمنزلة الجنس فلا تدخل فيه النقطة العرضية. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/ التهانوي(جـ١/صـ٥٥٨) ط:١مكتبة لبنان ناشرون – بيروت١٩٩٦م.

CamScanner

الفرد والجسم،[١]. وداخلان في الجسم عند الأشعرية.

والجوهر عند الحكماء[٢]: ماهية إذا قورنت بوجودها الخارجي ولوحظت منسوبة إليه كانت لا في موضوع، فالموضوع: المحل المتقوم بذاته المقوم لما يحل فيه، والجوهر عند الحكماء المشائين[٣] على خمسة أقسام:

١- الهيولى[٤] : وهي جوهر في الجسم قابلٌ لما يعرض له من الاتصال والانفصال، أو هي المادة التي تتكون منها الأشياء. وتكون موجودة بالقوة.

٢- الصورة: وهي ما به الوجود بالفعل. وهي إما جسمية: وهي الاتصال الممتد في جهات الهيولى. وهي مشتركة في جميع الأجسام. أو نوعية: وهي لا يخلو عنها جسم: ويتنوع بحسبها أنواعاً كثيرة. تختلف آثارها ولوازمها. كقبول الانفكاك والالتئام بسهولة كما في الماء، وبعسر كما في الأرض.

٣- الجسم: وهو ما تركب من ثلاثة: الهيولى والصورة بقسميها، يقال للمحل هيولي وللحالّينِ صورة.

٤- النفس: وهي جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف.

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (صـ٧١٧)

(٢) منطق أرسطو(جـ١/صـ٣١) الحدود لابن سينا (ص٨٧، ٨٨)، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات/ط:٢ /دار العرب بالفجالة القاهرة. بدون، والشفاء ك المقولات لابن سينا (جـ١/صـ٩٢)، تلخيص مقولات أرسطو لابن رشد (صـ٨٦).

(٣) المشائية من يتابعون أرسطو الذي كان يلقي محاضراته ماشيا فسموا به. منهجهم الاستدلال على أسس منطقية، والعقل طريق المعرفة. شرح المقاصد(جـ١/صـ ٢٩٣)

(٤) الهيُولى: كلمة يونانية معناها الأصل والمادة. والهيولي إذا أطلقت فإنه يعني طينة العالم أعني جسم الفلك الأعلى وما يحويه، وهي محل للصورتين. التعريفات(صـ٢٣٠)

CamScanner

٥- العقل: وهو جوهر مجرد يتعلق بالبدن تعلق التأثير، وتحته عقول عشرة مجردة عن المادة مؤثرة في الممكنات[١]. فعالم العناصر صدر عندهم عن العقل العاشر بطريق التعليل والإيجاب، فهو معلول له،وأثر صادر عنه.

وعند الحكماء الأقدمين: أقسامه ثلاثة: جسم، ونفس، وعقل، ولم يثبت عندهم وجود جوهر حال هو الصورة، وآخر محل هو الهيولى. وإنما الهيولى اسم للجسم من حيث قبوله للأعراض المحصلة للأجسام المتنوعة، والصورة اسم لتلك الأعراض.[٢]

ومن أحكام الجوهر:

١- أنه قابل للبقاء زمانين فأكثر. وهذا الحكم ضروري. فكليتنا هي التي درس فيها أساتذتنا دون تغيير فيها، والتغيير للأعراض فقط.

٢-الجواهر لا تتداخل في بعضها على جهة النفوذ من غير زيادة الحجم؛ فلو تداخلت كان الباب أبوابا، فيتساوى الكل والجزء، وهذا محال، وعلى جهة الظرفية يجوز التداخل كدخول الماء في القارورة، وهذا الحكم متفق عليه.

٣-الأجسام متماثلة في الحقيقة عند المتكلمين؛ لتركبها من جواهر فردة، وهي متماثلة في الحقيقة، فالأجسام متماثلة. والحكماء قالوا: إن الأجسام مختلفة في الحقيقة؛ لتركبها من الهيولى والصورة الجسمية والنوعية. والصورة النوعية مختلفة في الأجسام لاختلاف الآثار واللوازم.[٣]

(١) يراجع في الأقسام عندهم: ما وراء الطبيعة لأرسطو(جـ٢/صـ٦٥، ١٩٣، ٢٠٣) ، (جـ٣/ صـ ٢٤٤، ٢٤٥). الشفاء ك المقولات لابن سينا(جـ١/صـ٧١) الإشارات والتنبيهات له (جـ٢/ صـ١٦٧) بتحقيق أ. د/ سليمان دنيا ط:٣ دار المعارف بالقاهرة.

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني(جـ١/صـ ٢٩٣)

(٣) إلهيات الشفاء لابن سينا(صـ٦٨) وأبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (جـ٣/ صـ٤١). تحقيق: أ. د. أحمد المهدي/ ط: ٢/ دار الكتب القاهرة -٢٠٠٤م. شرح المقاصد للتفتازاني (جـ١/صـ ٣١٨). شرح المواقف (جـ٧/صـ ٢٣٨، ٢٣٩).

CamScanner

العرض بين الأشاعرة والفلاسفة

العرض عند الأشاعرة هو الممكن الموجود القائم بمتحيز أي بالجوهر. فهو لا يقوم ولا يتحيز بنفسه. بل يقوم ويتحيز بالجوهر.[١]

وعند المعتزلة هو: ما لو وُجِدَ لقام بمتحيز.[٢] فتعريفهم أعم من تعريف الأشاعرة؛ لأنه يشمل الممكن الموجود والمعدوم الذي لو وجد لقام بمتحيز.

وعرفه الحكماء بأنه: ماهية في موضوع وهي: إما كلية فتقال على موضوع، وإما جزئية فلا تقال على موضوع بل توجد فيه. فهي حقيقة إذا قيست الى وجودها الخارجي ولوحظت نسبتها اليه، كانت في موضوع أي محل يُقومها. فوجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع. فالإشارة إلى أحدهما إشارة الى الآخر. والمراد بالموضوع: المحل القائم بنفسه المقوم لغيره. كالورق أبيض. فالورق قائم بنفسه، وهو موضوع ومحل للبياض القائم به، والمقوم له؛ فالبياض لا يقوم بنفسه. بل يحتاج الى ما يقومه.[٣]

- **أقسام العرض عند الأشاعرة والفلاسفة**:

الأول: ما يختص بالحي. كالعلم والقدرة، والإدراك بالحواس الظاهرة.

الثاني: ما لا يختص بالحي. وهو الأكوان الأربعة، والمدركات بالحواس الظاهرة. فيشمل الحي وغيره. وهو الأين عند الحكماء، ولما فسر المتكلمون الأين بالكون قسموه أربعة الاجتماع الافتراق الحركة السكون. وقالوا بوجوده وأقرو بالحركة –كما مر–والكون عند الفلاسفة: حلول صورة جديدة في الهيولى، والمدركات بالبصر: الألوان. وبالسمع: الأصوات، وبالشم: الروائح، وبالذوق:

(١) التعريفات للجرجاني(صـ١٢٩).

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (صـ٢٣٠).

(٣)منطق أرسطو لأرسطو(جـ١/صـ٣١) والحدود لابن سينا(صـ ٨٩)والمقولات(صـ٢٩)

CamScanner

الطعوم. كالحلاوة والمرارة، وباللمس: النعومة والخشونة، وهكذا. [١]

وينقسم العرض عند الحكماء: الكم. والكيف، والأين، والوضع، والملك، والاضافة، وأن يفعل، وأن ينفعل. وهذه المقولات كلها موجودات خارجية[٢]

- **بعض أحكام العرض:**

١- لا ينتقل العرض من محل إلى آخر، لأن الانتقال حركة في الأين، وهي من خواص الأجسام. وهذا متفق عليه من المتكلمين والحكماء.

٢- لا يقوم العرض الواحد بمحلين. وهذا أيضا محل اتفاق[٣].

٣-عند الأشاعرة لا يقوم العرض بالعرض، وجوزه الحكماء لأن السرعة والبطء صفتان قائمتان بالحركة دون الجسم. لامتناع اتصاف الجسم بهما. ومحل النزاع تفسير القيام بالغير: فمن قال هو التبعية في التحيز منعه، ومن قال معناه: اتصاف المنعوت بالناعت جوزه. ويرجح الجواز اتفاق الجميع على قول: صفات الله قائمة بذاته ومعناه: الاختصاص الناعت. وليس التبعية في التحيز. [٤]

٤-العرض لا يبقى زمانين، والحكماء على بقاء الأعراض كالأجسام.[٥]

---

(١) شرح المواقف(جـ٥/صـ ١٣) ، وشرح المقاصد (جـ٢/صـ١٤٩)

(٢)منطق أرسطو المقولات (جـ١/صـ٦)، الشفاء ك المقولات لابن سينا (جـ١/ صـ٦، ٧٦) شرح المواقف(جـ٥/صـ١٤) وما بعدها، شرح المقاصد(جـ١/صـ١٧٥).

(٣) يراجع في الحكمين الأول والثاني: شرح المواقف(جـ٥/ صـ ٢٨، ٥٢).

(٤) شرح المقاصد(جـ٢/صـ٦٩) وقارن: شرح المواقف (جـ٥/ صـ٩، ٣٨)(جـ٦/صـ١٧١)

(٥) عدم بقاء العرض زمانين قول الأشعري ومتابعيه. ورفضه بعض الأشاعرة. يراجع: شرح المواقف (جـ٥/ صـ٣٨) وما بعدها.

CamScanner

المبحث الثاني
الكم وأقسامه

تعريف الكم: للكم ثلاث خواص يصح تعريفه بكل منها على انفراد، ويصح تعريفه بجميعها:

الأولى:– قبول القسمة الوهمية لا الفعلية. فيقال: عرض يقبل القسمة لذاته[١].(عرض) –علي مذهبهم–كالجنس يشمل كل أنواعه، و(يقبل القسمة) فصل يخرج ما عدا الكم، فالمراد بالقسمة: القسمة الوهمية وهي: فرض شيء غير شيء آخر بعد ملاحظة أنهما شيء واحد، والعقل يلاحظ بواسطة الوهم فهي الوهمية، وإلا فهي العقلية التي تسمى فرضية، والوهمية من خواص الكم؛ لأن الوهم تابع للحس لا يلاحظ العقل منه إلا مقدارًا معينًا يحلله إلى أجزاء معينة، بخلاف العقلية فإنها حكم كلي على أي مقدار معين بأنه يقبل القسمة إلى غير نهاية، ففروض الوهمية جزئية دائمًا وفروض العقلية كلية، فالإدراك بالقوة الواهمة المعدودة لإدراك الجزئيات هو ما يقع فيه الكم. وليس الإدراك بالقوة العاقلة المعدودة لإدراك الكليات[٢]. وأيضا يخرج ما لا يقبل القسمة أصلًا لا وهمًا ولا فرضا، كالنقطة فلا جزء لها عند الأشاعرة[٣].

(١) كتاب قاطيغورياس أي المقولات، للفارابي ضمن كتاب المنطق عند الفارابي (جـ١/ صـ٩٣) تحقيق: د/ رفيق العجم ط: دار المشرق بيروت لبنان١٩٨٥م، الشفاء ك المقولات لابن سينا (جـ١/صـ١٤٣)، وشرح المواقف(جـ٥/صـ١٥) شرح المقاصد(جـ١/صـ١٨٢).

(٢) الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٢/صـ١٤٩)، وحاشية الأمير على شرح عبد السلام على الجوهرة (صـ٣٠٤)، ط/ الحلبي (١٩٤٨م).

(٣) الحاشية الثانية للشيخ العدوي (صـ٣١)، وقارن شرح المواقف(جـ٥/صـ٢٧).

CamScanner

وليس المقصود القسمة الفعلية أو الانفكاكية التي هي: زوال الاتصال بين الأجزاء بالفك أو الكسر أو القطع، فإنها من خواص المادة، فيحصل للجسم بالفعلية هويتان مختلفتان، والانفكاكية لا تلحق الكم بقسميه المتصل والمنفصل؛ لأن الملحوق يجب بقاؤه عند اللاحق، والمقدار الواحد إذا عدم وحصل هناك مقداران لم يكونا موجودين بالفعل قبل الانفصال(١).

(لذاته) يخرج الكم بالعرض كالعلم بمعلومين فإنه قابل للقسمة لكن قابلية القسمة ليس لذاته بل لتعلقه بالمعلومين(٢). وسيأتي بيانه.

الثانية:- وجود عاد يعده إما بالفعل كالعدد، أو بالتوهم كالمقدار. كالطول والعَرْض والزمان. فيعرف بها بأنه: ما يوجد فيه عاد يعده بالفعل أو بالتوهم(٣). فالعدد يشتمل على عاد يعده ويفنيه بالفعل كالخمسة مثلا تشتمل على الواحد خمس مرات، فإذا خرج الواحد مرة بعد أخرى إلى خمس مرات فنى بعد ذلك العدد، وكذلك الكم المتصل مثل الخط مشتمل على ما يعده ويفنيه توهمًا، فإذا فرضت فيه واحدا بعده كثير فإنك لا تزال تسقط بعضه إلى أن يفنى(٤). وبهذه الخاصية عرف الفارابي وابن سينا الكم.(٥)

الثالثة:- قبوله التساوي والزيادة والنقصان. فيعرف بأنه: ما يقبل التساوي والزيادة والنقصان. فالعقل إذا لاحظ المقادير أو الأعداد ونسبها إلى بعضها، أمكنه الحكم بينها بالمساواة أو الزيادة والنقصان؛ لأن أي مقدارين فرضهما ونسبهما العقل إلى بعضهما فهما متساويان، أو أحدهما أكبر أو أصغر من

(١) شرح المواقف للجرجاني (جـ٥/صـ١٥).
(٢) شرح المواقف(جـ٥/صـ١٥)
(٣) السابق(جـ٥/صـ٥٩)
(٤) منطق أرسطو كتاب المقولات(جـ١/صـ١٦) ، شرح المقاصد(جـ١/صـ١٨٢)
(٥) المنطق للفارابي كتاب المقولات (جـ١/صـ٩٣)، النجاة لابن سينا(صـ ٨٠).

CamScanner

الأخر، وكذلك العددان[١]. ويقول أرسطو "وأخص خواص الكم أنه يقال له مساويًا وغير مساو"[٢] ونُوقش التعريف بهذه الخاصية؛ لأن المساواة لا يمكن تعريفها إلا بكونها اتحادًا في الكمية فيكون ذلك دورًا [٣]

ويجاب عنه بأن المساواة واللامساواة مما يدرك بالحس، والكم لا يناله الحس مفردًا بل يناله مع المتكمم تناولًا واحدًا، ثم يجتهد العقل في تمييز أحد المفهومين عن الآخر فلهذا يجوز تعريف ذلك المعقول–أي الكم– بهذا المحسوس–أي المساواة واللا مساواة–.[٤]

ويصح أن يعرف الكم بجميعها فيقال: ما يقبل القسمة لذاته. ويوجد عاد يعده، ويقبل التساوي والزيادة والنقصان.

وكل شيء يقع تحت جواب "كم" فهو من هذه المقولة وكل شيء أمكن أن يقدر جميعه بجزء منه كالخط والبسيط والزمان. [٥]

(١) الشفاء كتاب المقولات لابن سينا(جـ١/صـ١٤٣)، شرح المقاصد(جـ١/صـ١٨٢)

(٢) منطق أرسطو المقولات(جـ١/صـ٢١).

(٣) الدور هو: توقف الشيء علي ما يتوقف عليه الشيء إما بمرتبة وهو المصرح، وإما بمراتب وهو المضمر. وكلاهما محال. يراجع: تحرير القواعد المنطقية/للقطب الرازي= =(صـ١٤) والدور يستلزم تقدم الشيء على نفسه، وهو ضروري الاستحالة، ووجه الاستلزام أن الشيء إذا كان علة لآخر كان متقدما عليه، وإذا كان الآخر علة له كان متقدمًا عليه والمتقدم على المتقدم على الشيء متقدم على ذلك الشيء فيكون الشيء متقدما على نفسه ويلزمه كون الشيء متأخرا عن نفسه، وهو معنى احتياجه إلى نفسه وتوقفه على نفسه، والكل بدهي الاستحالة. يراجع: شرح المقاصد/التفتازاني (جـ٢/صـ١١٥).

(٤) المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات للرازي(جـ١/صـ١٧٨) ط: ٢/ بيدار قم، ١٤١١هـ.

(٥) مفاتيح العلوم للكاتب البلخي(صـ١٦٧) تحقيق الأبياري ط:٢دار الكتاب العربي بدون

CamScanner

أقسام الكَمّ

الكم: «إما كَم بالذات، وهو ما يكون كَمًا في نفسه. وإما كم بالعرض، وهو ما عرض له الكمية بواسطة الكم بالذات. ثم الكم بالعرض: إما جسم أو كيف أو غير ذلك. ومعنى عروض الكمية عروض قبول الانقسام»[١].

لماذا ينحصر الكم متصلًا ومنفصلًا في أقسام خمسة ؟

الكم لو انقسم إلى أجزاء لا تشترك في حد واحد، فهو المنفصل، أو العدد وإن انقسم إلى أجزاء تشترك فهو المتصل، فإذا لم يكن قار الذات فهو الزمان، وإلا فهو المقدار. والمقدار لو انقسم في جهة فهو الخط، وبالخط ينتهي السطح، وإن انقسم في جهتين فهو السطح أو الجسم البسيط–الخط والنقطة–وبه ينتهي الجسم، وإن انقسم في ثلاث، فهو الجسم التعليمي والثخين. وتعريف الثخن: حشو ما بين السطوح. ولو أُخِذَ نزولًا فعمق، ولو أُخِذَ صعودًا فسُمْك. والعمق هو البعد المقاطع للطول والعرض فهو المفروض أولاً. أو أطول الامتدادين المتقاطعين في السطح الممتد من رأس الإنسان إلى قدمه، والعرض هو البعد المفروض ثانياً، أو الامتداد الأقل والآخذ من يمين الإنسان إلى يساره، فالطول والعرض والعمق كميات، والتعليميُ يستلزم البسيط، والبسيطُ الخط، والخطُ النقطة ليس لذاتها بل بالتناهي.[٢]

- **أولًا الكم بالذات وأقسامه**:

ينقسم الكم بالذات إجمالًا إلى: متصل ومنفصل. وتفصيلًا إلى خمسة:

(١) شرح المواقف(جـ٥/صـ٦٩)، نشر الطوالع (صـ٢١٠)

(٢)طوالع الأنوار للبيضاوي(صـ١٩٣) وقارن المنطق عند الفارابي(جـ١/صـ٩٥)والإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٢/صـ٢٤٢)، ومقولات الشفاء (جـ١/صـ١٣١).

CamScanner

الخط، والسطح، والجسم التعليمي، والزمان، والعدد. [١]

أولًا: الكم المتصل: وهو عرض يمكن أن يُفرض فيه أجزاء يتلاقى كل جزأين منها على حد واحد مشترك[٢] بينها تكون نسبته إليهما واحدة. يكون بداية لأحداهما. ونهاية للآخر. كالخط إذا قسم جزأين فحده المشترك النقطة. فإن اعتبرتها نهاية لأحد الجزأين يمكن أن تكون نهاية للجزء الآخر، وكذا لو بداية له فيمكن أن تعتبر بداية للآخر، وكذا يصح بداية لأحدهما نهاية للآخر وبالعكس، فالخط حد بين جزأي السطح، والسطح حد بين الجسم التعليمي[٣].

- **الكم المتصل قسمان**:

(أ) الكم المتصل قار الذات: وهو ما يجوز اجتماع أجزائه المفروضة في الوجود. وهو المقدار. وأقسام المقدار ثلاثة:

- **الخط والسطح والجسم التعليمي وكونهم أعراضًا**

(١) منطق الشفاء ك المقولات لابن سينا (جـ١/صـ١٢٨)، والهيات الشفاء(صـ١١٧).

(٢) والحدود المشتركة يجب مخالفتها بالنوع لما هي حدود له؛ فالحد المشترك يجب فيه أن يكون إذا ضم إلى أحد القسمين لم تزد ذاته أصلًا، وإذا فُصل منه لم ينقص منه شيء، وإلا كان الحد جزءًا آخر من المقدار المقسوم، فيكون التقسيم إلى قسمين–خط إلى خطين–تقسيمًا إلى ثلاثة خطين ونقطة، والتقسيم إلى ثلاثة –خط بين جزأي السطح–تقسيما إلى خمسة وهكذا، فالنقطة لم تكن جزءًا من الخط، بل هي عرض فيه، وكذا الخط بالقياس إلى السطح، والسطح بالقياس إلى الجسم. الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٢/صـ٢٤٣) وهذا الحد المشترك ذو وضع أي قابل للإشارة الحسية واقع بين مقدورين. يراجع: النجاة لابن سينا(صـ٨٠)، فإن قيل النقطة التي هي حد مشترك بين جزأي الخط ليس لها وجود بالفعل في الخط، وكذا الخط بين جزأي السطح لا وجود له بالفعل، وكذا السطح بين جزأي الجسم، فكيف تقبل النقطة والخط والسطح الإشارة الحسية؟ فالجواب: قبول الإشارة الحسية يقتضي وجود النقطة حين الإشارة لا قبلها، وهي موجودة في الخط لا قبلها. الحاشية الثانية للشيخ العدوي(صـ٣٤).

(٣) منطق أرسطو"المقولات(جـ١/ص١٦)، المنطق عند الفارابي "المقولات"(جـ٢/صـ٩٥)

CamScanner

١-**الخط:** وهو الذي يقبل القسمة الوهمية في جهة واحدة فقط. والخط عرض؛ لأن الجسم قد يوجد بدونه، فالكرة لا وجود للخط فيها بالفعل، فلا يثبت للجسم، فلا يكون داخلًا في مقوماته فيكون عرضًا[١]

٢-**السطح:** وهو الذي يقبل القسمة الوهمية في جهتين، والسطح عرض؛ لأنه موجود بواسطة انتهاء الجسم به، فالسطح ينتهي بالخط، والخط بالنقطة، والتناهي-إثباته يحتاج لبرهان-لا يدخل في مقومات الجسم؛ فنهاية الشيء مغايرة له فلا تدخل في مقوماته، فالتناهي المعين قد ينعدم بالشكل بسبب حدوث شكلٍ آخر مع بقاء الجسم بحاله. [٢]

٣-**الجسم التعليمي:** ما يقبل القسمة الوهمية في الجهات الثلاث: الطول والعرض والعمق. وقيد بالتعليمي لئلا يدخل الجسم الطبيعي، فهو من مقولة الجوهر، وسمي الكم القائم بالطبيعي الساري فيه جسمًا تعليميًا؛ لأنه يبحث في العلوم التعليمية، أي: الرياضية التي منها علم الهندسة وعلم المساحة.

والجسم التعليمي عرض؛ لتوارد الأشكال على الجسم الطبيعي مثل قطعة الحديد، قد تكون شباكًا، أو بابًا، أو كرسيًا، فالحديد هو الجسم الطبيعي، أما الأشكال التي تواردت وتغيرت بابًا وكرسيًا فهي جسم تعليمي، وإذا لم يكن من مقومات الجسم فهو عرض[٣] فالتعليمي عرض زائد مع بقاء الطبيعي.

(ب) الكم المتصل غير القار وكونه عرضاً

الكم المتصل غير القار الذات: هو مالا تجتمع أجزاؤه في الوجود. وهو الزمان فأجزاءه المفروضة فيه وهي الآنات لا تجتمع في الوجود، فهو كم

(١) في التعريفات رسالة الحدود لابن سينا (صـ٩٣)، وإلهيات الشفاء(جـ١/صـ٦١)
(٢) الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٢/صـ٢٤١، ٢٤٢)، شرح المواقف(جـ٥/صـ٦٢).
(٣)الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٢/صـ٢٤٤)، إلهيات الشفاء(جـ١/صـ٦٤، ٦٥)

CamScanner

متصل؛ لأن حده المشترك–الآن–مشترك بين الماضي والمستقبل. وغير قار الذات لعدم اجتماع أجزائه في الوجود فتحقق على التوالي والتعاقب فيوجد الجزء الثاني بعد انعدام الأول[١]وهكذا. والآن حد بين الماضي والمستقبل. وعند الحكماء الآن في الزمان موهوم كالنقطة في الخط –كما مر–.

والزمان موجود؛ لانطباقه على الحركة المنطبقة على المسافة القابلة للانقسام إلى ما لا نهاية، وجزء الزمان زمان، وجزء الحركة حركة، وجزء المسافة مسافة، وجزء المنطبق على الموجود موجود[٢]

والزمان عرض؛ لتعريفهم له بـ مقدار حركة الفلك: فهو قائم بالحركة، والحركة عرض، فالقائم بها عرض[٣]، والأعراض وجودية عند الحكماء.

- **ثانياً الكم المنفصل وكونه عرضاً**:

وهو ما لم يكن بين أجزائه حد مشترك. وهو العدد كالعشرة إذا قسمتها نصفين: كان نهاية النصف الأول الخامس الذي هو جزء من كم الخمسة الأولى، وبداية النصف الأخر السادس الذي هو جزء من كم الخمسة الأخرى، وإلا لم يكن تنصيفًا. فالمنتهى والمبدأ أجزاء من الكم المذكور، وليست أعراضًا قائمة بآخر المقدار الأول، وأول المقدار الثاني كالكم المتصل[٤]

(١) المنطق ك المقولات للفارابي(صـ٩٥) والشفاء ك المقولات (جـ١/صـ١٣١).

(٢) إلهيات الشفاء لابن سينا (صـ١١)، منطق الشفاء ك المقولات (جـ١/صـ١٣٣) مطالع الأنظار شرح طوالع الأنوار مع حاشية الجرجاني للأصفهاني(جـ١/٣٩٩)ط: قم رايد بدون.

(٣) الطبيعة لأرسطو طاليس (جـ١/صـ٤١١– ٤١٧، ٤٣٢) تحقيق: د عبد الرحمن بدوي ط: المركز القومي ٢٠٠٧م، والنجاة لابن سينا (صـ١٨) عيون الحكمة(صـ ١٩).

(٤) منطق أرسطو "المقولات"(جـ١/صـ١٥)، المنطق المقولات للفارابي (صـ ٩٦).

CamScanner

والعدد عرض؛ لأنه متقوم بالوحدات. مثل العشرة فإنها وحدة متكاملة، والوحدة عرض وجودي عند بعض الحكماء، فالعدد عرض وجوده ذهني.[١]

والشيء قد يكون كمًا متصلاً بالذات، وكمًا متصلاً بالعرض، كالزمان كم متصل بالذات لتلاقي أجزاءه على حد مشترك وهو الآن، وهو منطبق[٢] على الحركة –التي هي كم متصل بالعرض–المنطبقة على المسافة، فينطبق بواسطة الحركة على المسافة التي هي كم متصل بالذات، فيكون الزمان كمًا متصلاً بالعرض أيضاً[٣].

- **ثانياً الكم بالعرض وأقسامه**:

<u>الكم بالعرض</u> هو: ما عرضت له الكمية بواسطة الكم بالذات. فهو في ذاته من مقولة الجوهر أو من مقولة الكيف، لكنه مع ذلك مقترن بما هو كم بالذات؛ فباقترانه يكون كمًا بالعرض. فالكم بالعرض يقال له كم؛ بسبب مقارنته للكم الذاتي[٤]. **وأقسام الكم بالعرض أربعة:**

القسم الأول: ما كان مكانًا أي محلًا للكم الذاتي، وهو على ضربين:

(أ) محل الكم المتصل، كالجسم الواحد، فهو محل بحسب المقدار، وكم متصل بالعرض؛ لكونه محلًا للجسم التعليمي الذي هو كم متصل بالذات، والجسم في ذاته من مقولة الجوهر. والطول والقصر يَعرِضَان للكم الذاتي فيقال هذا الخط طويل بالنسبة إلى القصير، وبالعكس. فالجسم كمٌ متصلٌ بالعرض. (ب) محل

(١) إلهيات الشفاء لابن سينا(صـ٩٥، ١١٠). وفي انحصار المنفصل في العدد أو فيه مع القول خلاف، والراجح انحصاره في العدد. المباحث المشرقية للرازي(جـ١/صـ١٨٠)

(٢) والانطباق يجري مجرى الحلول السرياني في اشتراكهما في استلزام الانقسام من الجانبين. حاشية السيالكوتي مع المواقف وشرحها (جـ٥/صـ٦٩).

(٣) تسديد القواعد للأصفهاني(جـ٢/صـ٧٢٨)، شرح المواقف (جـ٥/صـ٦٩، ٧٠).

(٤) منطق الشفاء كتاب المقولات لابن سينا (جـ١/صـ١٣٠).

CamScanner

الكم المنفصل، كالجسم المتعدد، فجسم زين وجسم رفعت هما كم منفصل بالعرض؛ بسبب كونهما محلًا للعدد الذي هو كم منفصل بالذات، فهما محل للعدد. فالجسمان كمٌ منفصلٌ بالعرض [١]

القسم الثاني: هو الحالُّ في الكمِّ بالذات، ويمكن أن ينقسم على ضربين:

(أ) ما هو حالٌّ في الكم المتصل، كالضوء القائم بالسطح في الجسم المضيء، فالضوء من مقولة الكيف باعتبار، وكم متصل بالعرض باعتبار أخر[٢]. (ب) ما هو حالٌّ في كم منفصل، كالإمكان القائم بالمعدود الذي هو محل العدد على القول بوجود الإمكان[٣]. خلافًا للمتكلمين القائلين باعتبارية الإمكان[٤].

القسم الثالث: ما هو حالٌّ في محل الكم وهو ضربان:

(أ) ما كان حالًّا في محل الكم المتصل. (ب) ما كان حالًّا في محل الكم المنفصل. فالسواد –الذي هو من مقولة الكيف–مع الكم المتصل الذي هو المقدار محلهما الجسم، فيقال: هذا البياض طويل أو قصير، وإن كان مع

(٢) السابق(جـ١/صـ١٣٢)، وتسديد القواعد للأصفهاني(جـ٢/صـ٧٢٧).

(٢) شرح المواقف(جـ٥/صـ٦٩)، نشر الطوالع (صـ٢١٠).

(٣) الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٣/صـ٧٨)، منطق الشفاء المقولات (جـ١/صـ١٣٠).

(٤) الإمكان الذاتي أمر اعتباري يعقل عند انتساب ماهيتة الشيء للوجود، وهو لازم لماهية الممكن، ويستحيل انفكاكه عنها، وبه يستدل على جواز إعادة المعدوم، خلافًا للفلاسفة، ولا تفاوت فيه بالقوة والضعف، والإمكان الاستعدادي أمر موجود من مقولة الكيف، قائم بمحل الشيء الذي ينسب إليه الإمكان لا به، ولا يلزم ولا يتفاوت، والمفهوم الممكن العام يصدق على الواجب والممتنع والممكن الخاص، فالواجب من أفراده الضروري الوجود، والممتنع من أفراده الضروري العدم، والممكن الخاص من أفراد اللاضروري الوجود واللاضروري العدم، ولا يكون المفهوم الممكن العام جنسًا لشيء من الأشياء؛ لتباين المقولات التي هو الجواهر والأعراض الصادق على جميعها الممكن العام. شرح المواقف (جـ١/ صـ٩٣).

CamScanner

اعتبار تعدد الجسم كان السواد مع الكم المنفصل –الذي هو العدد–متحدين في المحل، فيقال هذه البياضات أكثر، فالسواد في نفسه من مقولة الكيف، لكنه على الأول كم متصل بالعرض، أي: بواسطة المقدار الحالّ معه في الجسم، وعلى الثاني منفصل بالعرض أي: بواسطة العدد والحالّ معه في الجسم المتعدد. (١)

القسم الرابع: ما يكون مُتعلقًا بما يعْرض له الكم بالذات، كالقوة الفلكية – التي تتعلق بالحركة، والحركة يعرض لها الكم من مقولة الكيف– التي هي مبدأ لحركات الفلك عند الفلاسفة، والحركات ليست كمًا بالذات –عندهم؛ لأنها من قبيل الأعراض النسبية. بل هي هنا كم متصل بالعرض؛ لانطباق الزمان والعدد على الحركة، فيعرض للحركة الكمية المتصلة والمنفصلة متناهياً أو غير متناه بحسب تناهي الزمان والعدد وعدم تناهيهما، ثم تعرض تلك الكمية للقوة المتعلقة بالحركة، ولذلك يقال للقوة إنها متناهية أو غير متناهية، ومعنى تعلق القوة بالحركة كونها مبدأ لها. وهذا القسم على ضربين:

(أ) ما هو متعلق بمعروض الكم المتصل، كالقوة الفلكية، فعند الفلاسفة، هي مبدأ حركات غير متناهية بحسب الزمان، والزمان منطبق على الحركة، فكأنه محل لها.(٢)(ب)ما كان مُتعلقًا بمعروض الكم المنفصل، وذلك كالقوة الفلكية أيضاً، فإن الحركات التي هي آثارها إذا اعتبرت متعددة بأن اعتبر كل دورة مثلا حركة واحدة تكون تلك القوة متعلقةً بمعروض الكم المنفصل، فتكون كما منفصلا بالعرض. والحركات آثار للقوة غير المتناهية عند الفلاسفة (٣) وعند الأشاعرة فجميع الأشياء مستندة إلى الله تعالى ابتداءً وبلا واسطة. والقوة

(١) منطق الشفاء المقولات لابن سينا (جـ١/صـ١٣٢) ، وطوالع الأنوار (صـ١٧٥).
(٢) الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٣/صـ١٥١) شرح المواقف(جـ٦/صـ٢٥٧)
(٣) الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٣/ صـ١٧١، ١٧٥).

CamScanner

المتناهية أو غير المتناهية تتعلق بالحركات التي تكون محلًا للكم متصلًا وهو الزمان، أو منفصلًا وهو العدد. فتتعلق بالكم في الجملة.(١)

ومعنى وقوع الحركة في المقولة: أن الموضوع أي موضوع المقولة يتحرك من نوع تلك المقولة إلى نوع آخر منها، أو من صنف من مقولة إلى صنف آخر من تلك المقولة كانتقال الجسم من البياض الشديد إلى البياض الضعيف وبالعكس، أو من فرد من مقولة إلى فرد آخر منها كالانتقال من بياض معين إلى بياض مثله. (٢)

- **الحركة في مقولة الكم**

الحركة في مقولة الكم هي: الانتقال من كمية إلى كمية أخرى تدريجا.

- **وتقع الحركة في الكم** على أربعة أنواع: ١-التخلْخُلُ: ازدياد مِقْدَار الْجِسْم من غير انضمام جسم آخر إليه. وبدون أن يقع بين أجزائه خلاء، كالماء إذا سخن تسخينا شديدا. ٢-التكاثُفُ: انتقاص مِقْدَار الْجِسْم من غير انتقاص جسم منه. كالتبريد.٣-النُّمُوُّ: ازدياد جسم باتصال جسم آخر بِه اتصالا يدفع أجزاءه إلى جميع الأقطار. ٤-الذُّبُول: عَكسه كالذي يكون بسبب الأمراض(٣) والأولان كالمتصل، والأخيران كالمنفصل.

و**وجه الحصر** أن الحركة في الكم يجب فيها زوال كمية، وحصول أخرى، فالكم الأول إما أن يكون أصغر من الثاني أو أكبر. وعلى الأول إما أن يكون حصول الأكبر بانضمام شيء أو لا. وعلى الثاني إما أن يكون حصول

(١) حاشية الفناري مع شرح المواقف(جـ٥/صـ٦٩، ٧٠).

(٢)منطق أرسطو المقولات (جـ١/صـ١٨)، شرح المواقف(جـ٦/صـ٢١٣، ٢٥٧)

(٣) رسالة الحدود لابن سينا(صـ٩٧، ٩٨)، النجاة في الحكمة له (صـ ٢٠٦) التعريفات (صـ٤٦، ٩٥، ٢٢٠) المباحث المشرقية للرازي (جـ١/صـ ٦٢٧) ومابعدها.

CamScanner

الأصغر بانفصال شيء أو لا. فانحصرت في أربعة.[١]

وتمسك الفلاسفة بإمكان التخلخل والتكاثف مبني على تركب الجسم من الهيولى والصورة، والهيولى لا مقدار لها في نفسها، ولكنها قابلة للمقادير المختلفة بحسب ما تقدمها من الأسباب المعدة، فيجوز أن ينتقل من المقدار الصغير إلى الكبير وهو التخلخل، وبالعكس وهو التكاثف.[٢]

ونفي الجزء، وإثبات الهيولى والصورة، وتركب الجسم منهما دون الجزء يلزم منه قدم العالم، لأن الصورة لا تنفك عن الهيولى، والهيولى لا يجوز أن تكون حادثة وإلا لزم التسلسل. فالهيولى ليست ثابتة عند المتكلمين. [٣]

(١) الشفاء ك المقولات لابن سينا(جـ١/صـ١٣١).

(٢) إلهيات الشفاء لابن سينا(جـ١/صـ١٣١). شرح المقاصد(جـ١/صـ٢٦٢).

(٣) شرح المواقف للشريف الجرجاني (جـ٧/ صـ٣٣) وما بعدها. المقصد السابع كاملا.

CamScanner

المبحث الثالث

الكميات وجوداً وعدماً بين الأشاعرة والفلاسفة

العدد والمقادير التي هي الخط والسطح والجسم التعليمي والزمان كلها أعراض عند الحكماء يقول الشيخ الرئيس" الواحد مبدأ ما بوجه ما للكمية، فكونه مبدأ للعدد قريب من المتأمل، وأما للمتصل؛ فلأن الاتصال وحدة ما، وكأنه علة صورية للمتصل؛ ولأن المقدار كونه مقدارًا هو بحيث يُقدر وهو كونه بحيث يعد، وكونه بحيث يعد كونه بحيث أن له واحدًا"[١] فالشيخ هنا يرجع المقادير كلها للواحد[٢]، فهي أعراض وجودية له.

- **أولًا العدد بين الأشاعرة والفلاسفة**

العدد عند الأشاعرة لا وجود له في الخارج؛ لتركبه من الوحدات التي هي اعتبارات عقلية لا وجود لها في الخارج. فحقيقة العدد ما يجتمع من الوحدات، والوحدة ليست وجودية؛ لأن الوحدة هي عدم الانقسام، فهي عدم، فيكون ما تركب منها عدمًا؛ فعدم الجزء يستلزم عدم الكل ضرورة، فالعدد المركب من

(١) إلهيات الشفاء لابن سينا (صـ٩٦).

(٢) الواحد يقال بالتشكيك فإما أن يكون: واحداً بالجنس كالإنسان والفرس فيدخلان تحت جنس الحيوان، أو بالنوع: كزيد وعمرو، فيجتمعان في واحد الإنسان. أو بالمحمول كالقطن والتاج موضوعين بمحمول واحد هو الأبيض، أو بالموضوع كالكاتب والضاحك المحمولين على موضوع واحد الإنسان. أو بالتركيب كأجزاء تركبت منها ماهية كالبيت المركب من العلو والجدران والسفل. أو واحداً حقيقياً لا انقسام فيه أصلا كالواجب لذاته، وأما الكثير فهو الذي يقابل الواحد بأحد هذه المعنى، مثلا الكثير بالجنس هو المتعدد الذي لا يجتمع تحت جنس واحد، والكثير بالعدد: ما يكون معدودًا مجتمعًا من الأحاد المفصلة. يراجع إلهيات الشفاء لابن سينا (صـ٩٧) وما بعدها، طوالع الأنوار للبيضاوي (صـ١٧٦).

CamScanner

الوحدات العدمية يكون عدميًا قطعًا. فالعدد عندهم ليس موجودًا في الخارج، بل الموجود هو المعدود، والعدد اعتباريٌ[١].

أما الفلاسفة فقالوا: العدد عرض موجود، فـ"العدد له وجود في الأشياء – أي وجود في الخارج بدليل مقابلة العدد للمعدود–، ووجود في النفس".[٢]

فالعدد له وجود في الخارج مع المعدود ووجود في الذهن، وينقضون رأي الأشاعرة بالتفرقة بين وجود العدد مجردا مقارنا للمعدود في الخارج، ومن يقول بهذا فلا عبرة بكلامه عندهم، وبين وجود العدد مجردا عن المعدود في الذهن فقط، وهذا يقول به الفلاسفة؛ فيستخدم الكم في العدد لينتقل من إثبات الحكم للواحد إلى إثباته للكثير وهو العدد. بناء على أن الواحد والعدد كم.

ثم يثبتون وجود العدد في الخارج من خلال الموجودات في الخارج، وباستخدام الكم، فالموجودات تتكون من وحدات كونه كما لها، وكل واحد منها واحد بالنوع، والواحد بالنوع له خواصه التي تفصله عن غيره هي هويته، والشيء الذي لا تحقق له يستحيل أن تكون له هذه الخواص كاتصافه بالتماس مع غيره، فثبوت هذه الخواص دليل وجوده في الخارج. ووجود الواحد دليل على وجود العدد.[٣]

فالكم الذي هو الوحدة هو الأصل في الخلاف بين الأشاعرة والفلاسفة فالجميع ينطلق من أنه كما تعرض الوحدة للموجود الخارجي يعرض العدد له، فالفلاسفة قالوا بوجود الكم كعرض في الخارج، والأشاعرة على أنه أمر عدمي. والجواب عند الأشاعرة أن اتصاف الموجودات بالمعدودات أمر فرضي واعتباري واتصاف الموجودات العينية بالأمور الاعتبارية جائز، فالأعيان متصفة بالعدد

(١) شرح المواقف (جـ٥/صـ ٧٦)، وقارن: أبكار الأفكار للآمدي (جـ٢/ صـ٩١)
(٢) إلهيات الشفاء للشيخ الرئيس (صـ ١١٩)
(٣) إلهيات الشفاء للشيخ الرئيس (صـ ١١٩، ١٢٠)

CamScanner

بلا شك، والعدد الذي يعرض للموجود خارجي ليس مما لا شك فيه، وكما تعرض الوحدة للموجود الخارجي يعرض العدد له.(١)

- **ثانياً المقادير بين الأشاعرة والفلاسفة**

أنكر الأشاعرة وجود المقادير–التي هي الجسم التعليمي والسطح والخط – بالخارج، أما النقطة فهي عين الجوهر الفرد–كما مر– فليس في الجسم موجودات زائدة عليه؛ فالخط والسطح جوهريين كالجزأين للجسم؛ لأن الجسم عندهم مركب من أجزاء لا تتجزأ، ولا يوجد اتصال بين الأجزاء، ولكن لأن المفاصل صغيرة فلا يُحس انفصالها، فلا يوجد أمر متصل في حد ذاته هو عرض حَالٌ موجود في الجسم، ولا وجود إلا للجواهر الفردة فإذا انتظمت في اتجاه واحد حدث أمر منقسم في جهة واحدة، يسميه بعضهم–**أي بخلاف المعتزلة**–: خطًا جوهريًا، وإذا انتظمت في اتجاهين حصل أمر ينقسم في جهتين قد يسمى: سطحًا جوهريًا، وإذا انتظمت في الاتجاهات حدث ما يسمى: جسماً اتفاقًا –**جميع المتكلمين**–. والخط جزء من السطح، والسطح جزء من الجسم، فلا وجود إلا للجسم وأجزاءه، وكلها جواهر، فلا وجود لـ مقدار هو عرض إما خط أو سطح أو جسم تعليمي(٢)

فالأشاعرة عندهم الجسم ما تركب من جوهرين فأكثر. فالجسم مجموع الجزأين المتألفين، وليس كل واحد منهم، فالتأليف عرض، والعرض الواحد لا يقوم بجسمين؛ لامتناع قيام العرض الواحد بمحلين؛ وإلا وجب أن يقوم بكل واحد من الجوهرين المؤلفين تأليف على حده، فهما جسمان لا جسم واحد، هذا خلف.(٣)

(١) شرح المواقف للجرجاني (جـ٥/صـ ٧٦).

(٢) شرح المواقف (جـ٥/صـ ٧٠).

(٣) شرح المواقف(جـ٦/صـ٢٨٩ـ ٣٠٥). المبين للآمدي(صـ ١١٠). وقارن: مقالات الإسلاميين للأشعري (جـ٢/صـ٤–٨)، وشرح المقاصد للتفتازاني(جـ٢/صـ٢٣٩)

CamScanner

والمعتزلة يخالفون الأشاعرة في ذلك؛ فقد شرط المعتزلة في الجسم الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق[١].

<u>والجسم عند الفلاسفة</u> يطلق بالاشتراك على معنيين:

(أ)الجسم الطبيعي وهو: الجوهر الذي يمكن فرض الأبعاد الثلاثة المتقاطعة فيه.[٢] (ب) الجسم التعليمي وهو الكم المتّصل الذي يقبل التجزئة في ثلاث جهات والتعليمي بهذا عرض. ومغايرة التعليمي للطبيعي تظهر في مغايرة الجسميّة للمقدار بالشمعة التي تبقى برغم تشكلها بأشكال مختلفة[٣]، فدل ذلك على أن التعليمي عرض قائم موجود بالجسم ومغاير للطبيعي.

والخط والسطح من صفات التعليمي المتخلخل مرةً بزيادة بعض الأجزاء من غير ضم أجزاء أخرى إليه، والمتكاثف أخرى بنقص مقداره بدون انفصال أجزاء، والطبيعي باق على حاله، فالتعليمي عرض قائم بالطبيعي، فالخط والسطح –وهما صفات التعليمي– أولى بالعرضية. وبذلك يثبت الفلاسفة أن الخط والسطح والجسم التعليمي أعراض قائمة موجودة بالجسم.[٤]

<u>ويجيب الأشاعرة عن ذلك</u> بأن كل ما ذكر يدل على أن هذه الأمور أعراض، ولا يدل على وجودها في الخارج. فالتغييرات التي تطرأ على الجسم

(١) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار(صـ٢١٧)، ومقالات الإسلاميين(جـ١/ صـ٣٠٧)

(٢) وهذا منتقض على أصولهم بالجسم التعليمي؛ فيمكن فيه فرض امتدادات متقاطعة على رأيهم؛ وليس بجسم طبيعي؛ بل عرض من مقولة الكم. ثم إنه يلزم عليه ألا يكون= =الخط – مع تأليفه–جسم؛ لعدم تقاطع الأبعاد الثلاثة عليه؛ ويخالف اللغة فالجسم لغة: مخبر بالتركيب والتأليف؛ فعند تفضيل شخص على شخص في كثرة الأجزاء نقول: فلان أجسم من فلان. أي أكثر ضخامة، وأجزاءً. أبكار الأفكار للآمدي(جـ٣/صـ٨٦).

(٣) الهيات الشفاء لابن سينا (صـ٥٧، ١٦٥) ، شرح المواقف (جـ٦/صـ ٢٦٠).

(٤) النجاة في الحكمة لابن سينا فصل في التخلخل والتكاثف(صـ ٢٠٦).

CamScanner

التعليمي تدل على عرضيته ومغايرته للطبيعي، ولا تدل على وجوده[١]. ومنع المتكلمون أن يكون الخط والسطح من صفات الجسم التعليمي بل هما من صفات الجسم، ولو كانا من صفات التعليمي فالتخلخل والتكاثف الحقيقيين ليسا للتعليمي بل هما فرع لثبوت الهيولى، والمتكلمون ينفون الهيولى، ولو كان التخلخل والتكاثف للتعليمي فلا يكون التعليمي عرضًا بل جوهرًا.[٢]

فالفلاسفة لما أبطلوا الجزء الذي لا يتجزأ[٣] قالوا باتصال الجسم في الحقيقة فأثبتوا تلك المقادير العرضية. فقالوا إن الهيولى تفتقر إلى الصورة الجسمية في تحيزها وبقائها، والصورة تفتقر إلى المادة في تعينها وتشكلها، فكلاهما لا تنفك عن الأخرى، والمادة أيضا لا تخلو عن صورة نوعية[٤]. وكل هذا مبني عندهم على نفي القادر المختار، وهو باطل عند أهل السنة.

الزمان بين الأشاعرة والفلاسفة

الزمان في اللغة: اسم لقليل الوقت وكثيره، والجمع أزمان وأزمنة[٥]

وعند الأشاعرة: متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم، كقولك: آتيك عند طلوع الشمس؛ فطلوعها معلوم ومجيئه موهوم، وعند اقتران الموهوم بالمعلوم يزول الإيهام.[٦] وقد ينعكس التقدير بين المتجددات فيقدر مرة هذا بذاك، وأخرى

(١) شرح المواقف للشريف الجرجاني (جـ٥/صـ٧٧).

(٢) مطالع الأنظار للأصفهاني(جـ١/صـ٤٠٦، ٤٠٧). أبكار الأفكار(جـ٣/صـ٨٦).

(٣) النجاة لابن سينا(صـ١٠٢) وعند الفلاسفة الجوهر الفرد يحصل بدون التأليف بحلول الصورة في الهيولي. حاشية السيالكوتي على شرح المواقف(جـ٦/صـ ٢٨٨).

(٤) الإشارات والتنبيهات لابن سينا(جـ٢/صـ١٦٧)، والنجاة(صـ٢٠١).

(٥) لسان العرب لابن منظور (جـ٣/صـ١٩٩).

(٦) التعريفات للجرجاني (صـ٢١٤).

CamScanner

ذاك بهذا، فيتعاكس بحسب ما يعلمه المخاطب، فإذا قيل مثلاً: متى جاء زيد؟ يقال: عند طلوع الشمس، إن كان السائل مستحضراً لطلوع الشمس ولم يكن عالمًا بمجيء زيد، وإذا قال غيره: متى طلعت الشمس؟ يقال: حين جاء زيد، إن كان السائل عالمًا بمجيء زيد دون طلوعها الذي سئل عنه... فالأشاعرة على أن الزمان متجدد معلوم يقدر به متجدد مبهم؛ إزالةً لإبهامه.(١)

وذهب الفلاسفة إلى أن الزمان: موجود في الخارج.(٢) وأشهر أدلتهم:

أولًا: إذا فرضنا حركة في مسافة معينة بقدر محدد من السرعة، وفرضنا حركة أخرى مثلها في المسافة وبالقدر نفسه من السرعة، وابتدأت وانتهت الحركتان معًا، قطعتا المسافة معًا، وإن تأخرت الحركة الثانية عن الأولى في الابتداء ووافقت الحركة الأولى في الوقوف قطعت أقل من الأولى بالضرورة، وكذا إن وافقت الأولى الثانية بدايةً ونهايةً وكانت الثانية أبطأ قطعت الثانية مسافة أقل، وإذا كان كذلك كان بين بداية السريعة الأولى ووقوفها إمكان(٣) قطع مسافة معينة بسرعة معينة، وإمكان قطع مسافة أقل من المسافة الأولى

(١) شرح المواقف (جـ٥/صـ ١١٤). وقارن المبين للآمدى (صـ ٩٦).

(٢) الشفاء لابن سينا فن السماع الطبيعي(صـ ١٤٨)، تحقيق سعيد زيد، مراجعة: د/ إبراهيم مدكور/ط: القاهرة ١٩٦٧م. والمباحث المشرقية للرازي (جـ١/صـ٦٤٢)

(٣) هناك أمر ممتد –الزمان–يتسع لقطع هذه المسافة المعينة بتلك السرعة المخصصة لها، فلو زادت السرعة زادت المسافة المقطوعة، وبالعكس، فهذا الأمر قالب للمسافة منطبق عليه، فإذا كانت السرعة بهذا القدر أيا كان المتحرك كان المقطوع بها في ذلك الأمر الممتد هو مقدار تلك المسافة، فإحدى الحركتين لما فرضت موافقة للثانية في السرعة والبداية والنهاية قطعت مقدار هذه المسافة تماما. الجرجاني على مطالع الأنظار (جـ١/ صـ٤١٠).

CamScanner

ببطء[١] معين، وبين بداية الحركة الثانية وتركها إمكان أقل من ذلك الإمكان الأول بتلك السرعة المعينة، ويكون هذا الإمكان جزءًا من الإمكان الأول، وإذا كان الأمر كذلك كان هذا الإمكان قابلًا للزيادة والنقصان، ولا شيء من العدم يقبل الزيادة والنقصان، فهذا الإمكان ليس بعدم، فوجب أن يكون هذا الإمكان أمرًا وجوديا مقداريًا؛ لانطباقه على المسافة.[٢]

وهذا الإمكان الوجودي مغاير للمسافة؛ لأن الحركة البطيئة الموافقة للحركة الأولى السريعة في البداية والانتهاء يشتركان في هذا الإمكان؛ ضرورة توافقهما أخذًا وتركًا، ويتفاوتان في المسافة؛ ضرورة كون المسافة البطيئة أقل، وما به التوافق يغاير ما به التفاوت، فالزمان مغاير للمسافة [٣].

وأجاب الأشاعرة: الإمكانات أمور موجودة باعتبار العقل فلا وجود لها في الخارج، والأمور الاعتبارية تقبل الزيادة والنقصان والمساواة بشرط عدم وجودها في الخارج، فإن قيل إن الإمكانات قابلة للتفاوت والمساواة في الخارج. فممنوع، وإن قالوا تقبل ذلك ذهنًا، أو تقبله في الجملة فمسلم، ولا يفيد.[٤]

النقيضان يرتفعان بحسب الوجود دليل على عدمية الزمان

ثانيا من أدلة الفلاسفة: كون الأب قبل الابن معلوم بالضرورة، وهذه القبلية ليست وجود الأب، وليست عدم الابن؛ لتعقل وجود الأب وعدم الابن مع الغفلة عن القبلية، وليست هذه القبلية أمرًا عدميًا؛ لأنها نقيض اللاقبلية التي هي عدم محض، فاللاقبلية تصدق على العدم المحض، وإذا كان أحد النقيضين–اللاقبلية–

(١) عند الفلاسفة: السرعة عبارة عن شدة الحركة في نفسها. والبطء: عبارة عن ضعفها. وقيل البطء: عبارة عن تخلل السكنات، والسرعة: تقللها. المبين للآمدى(صـ ٩٥، ٩٦).

(٢) الهيات الشفاء للشيخ الرئيس(صـ٦٠) وعيون الحكمة له أيضا (صـ١٩).

(٣) النجاة في الحكمة لابن سينا(صـ١١٥)، السماع الطبيعي(جـ١/صـ ١٥٥)

(٤) حاشية الشريف الجرجاني على مطالع الأنظار للأصفهاني (جـ١/صـ٤١٠).

CamScanner

أمرًا عدميًا لزم أن يكون نقيضه–القبلية–أمرًا ثبوتيًا. [١]

وأجاب الأشاعرة بـ«القبلية من الأمور الاعتبارية العقلية التي لا وجود لها في الخارج كاللاقبلية، ولا استحالة في رفع النقيضين بحسب الوجود الخارجي»[٢] لكن لا يرتفعان في الصدق على موضوع واحد أو بحسب الموجود[٣]

تعريف الزمان بين المثبتين لوجوده

اختلف الفلاسفة القائلون بوجود الزمان في تعريفه على أقوال:

فقال قدماء الفلاسفة: إنه جوهر مستقل، أي ليس بجسم ولا جسماني، ولا يقبل العدم لذاته، فهو واجب الوجود لذاته، ودليلهم: لو كان الزمان قابلًا للعدم فإما أن يكون عدم الزمان قبل وجود الزمان أو بعد وجوده، وكلاهما يستلزمان وجود الزمان حال عدم الزمان. فثبت الزمان واجب الوجود لذاته.[٤]

وأجاب الأشاعرة: بأن المحال يلزم من فرض عدم الزمان بعد وجوده، وليس من فرض عدمه مطلقًا، وعدمه بعد وجوده أخص من عدمه مطلقًا، ولو كان المحال لازمًا للأخص، فلا يجب أن يكون لازمًا للأعم، فلا يلزم المحال من عدمه مطلقًا، فيجوز أن يكون قابلا للعدم لذاته. [٥]

واعترف أفلاطون[٦] بحدوث الزمان فقال هو: حركة الفلك الأعظم.

واستدل بأن حركة الفلك الأعظم غير قارة الذات، والزمان غير قار الذات، ومنع

(١) النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية لابن سينا(صـ١١٥).
(٢) حاشية الشريف الجرجاني على مطالع الأنظار للأصفهاني (جـ١/صـ٤١١).
(٣) شرح المواقف للشريف الجرجاني (جـ ٨/ صـ٢١٢).
(٤) الهيات الشفا لابن سينا (جـ١/صـ٢١٨) شرح المواقف (جـ٥/ صـ١٠٤).
(٥) شرح المواقف للشريف الجرجاني (جـ٥/ صـ١٠٥).
(٦) أفلاطون فيلسوف ولد عام ٤٢٨ق م، لأسرة أرستقراطية أثينية ومات سنة ٣٤٨ق م. يراجع معجم الفلاسفة لجورج طربيشي(صـ٧١).

CamScanner

هذا بأن الحركة توصف بأنها سريعة وبطيئة، والزمان لا يوصف بسريع وبطيء عندهم.[١] وأرسطو يرفض أن يكون الزمان حركة الكل؛ لأنه يؤدي إلى أن جزءًا من دورات الفلك ليست زمانًا، فجزء الدورة ليس بدورة؛ لأن الدورة رجوع الدائرة إلى ما منها بدأت، فجزء الزمان زمان، فالدورة ليست زمانًا، ولو كانت سماوات وعوالم كثيرة لكانت سنوات وأيام معًا. [٢]

وقال أرسطو والشيخ الرئيس: الزمان هو مقدار تلك الحركة للفلك الأعظم. فهو مقدار الحركة في السابق واللاحق اللذين لا يثبت أحدهما مع الآخر،[٣] وهو متصل إذا كان عددًا لمتصل، لا مقدار المسافة ولا مقدار المتحرك. والآن في الزمان موهوم كالنقطة في الخط[٤]

ودليلهما: أن الزمان يقبل المساواة والمفاوتة، وكل ما كذلك فهو كم، فالزمان كم، ولا يكون الزمان كماً منفصلاً؛ لأنه لو كان الزمان كماً منفصلاً لانقسم إلى ما لا ينقسم؛ لأن الكم المنفصل عدد، والعدد ينقسم إلى الوحدات التي لا تنقسم، فهو متصل غير قار الذات، فالزمان منقسم إلى ما ينقسم؛ لأن الزمان منطبق على الحركة المنطبقة على المسافة التي تقبل القسمة إلى غير نهاية، فالزمان أيضاً قابل للقسمة إلى **غير النهاية**، فينقسم إلى ما يقبل القسمة، فيكون الزمان كمًا متصلاً. ويكون غير قار الذات؛ لأن أجزائه لا تجتمع في الوجود، وإلا لكان الموجود اليوم موجوداً في يوم الطوفان، وهو محال، وإذا كانت أجزاؤه توجد على سبيل التجدد فله مادة لوجهين:

(١) المحاورات الكاملة(محاورة طيماوس)لأفلاطون(صـ٣٨٦) تحقيق البير ريفو، ترجمة أوغسطين بربارة/ ط: دمشق ١٩٦٨م، وشرح المقاصد (جـ١/ صـ١٩٣).
(٢) الطبيعة لأرسطو طاليس (جـ١/صـ٤١١– ٤١٧).
(٣) الطبيعة لأرسطو(جـ١/صـ٤٢٦)والنجاة لابن سينا(صـ١٨)عيون الحكمة(صـ ١٩)
(٤) منطق الشفاء كتاب المقولات (جـ١/ صـ١٣٣).

CamScanner

أحدهما: أن كل ما كان كذلك فهو عرض والعرض لا بد له من مادة.
الثاني: أن كل ما كان على سبيل التجدد يكون فيه حدوث شيء، وكل حادث له مادة، ولا تكون مادته المسافة؛ لأن المختلفين في الزمان قد يتفقان في المسافة وبالعكس –أي المتفقين في الزمان قد يختلفان في المسافة كما تقدم بالبطء والسرعة–فلو كان الزمان مقدار المسافة لكان مطابقاً لها. (١)

ولا تكون مادة الزمان المتحرك؛ لأن المختلفين في الزمان قد يتفقان في المقدار وبالعكس. ومادة الزمان ليست شيئاً آخر من هيئات المتحرك القارة؛ لأن المتفقين في الزمان قد يختلفان في مقدار الهيئة القارة وبالعكس. ومقدار الهيئة القارة يجب أن يكون قاراً، فيكون الزمان مقدار هيئة المتحرك غير قارة، أي الحركة، فالزمان مقدار الحركة.

وتلك الحركة المقدر بها الزمان مستديرة؛ لأن المستقيمة تنقطع؛ فالحركة المستقيمة إما من محيط الدائرة إلى المركز أو من المركز، فالأول ينقطع عند المركز، والثاني عند المحيط، والزمان لا ينقطع؛ لأنه لو انقطع لكان عدمه بعد وجوده بعدية لا يجامع البعد القبل –كما تقدم عند قدماء الفلاسفة، وما هذا شأنه يكون زمانياً، فبعد عدم الزمان زمان، فيكون عدمه بعد وجوده محالاً، فلا ينقطع، فيكون الزمان مقدار حركة مستديرة. وتلك الحركة تكون أسرع الحركات؛ لأن الزمان يقدر به سائر الحركات بسبب هذه الحركة التي هي أسرع الحركات والحركة التي هي أسرع الحركات هي الحركة اليومية التي هي حركة الفلك الأعظم، فالزمان مقدار حركة الفلك الأعظم. (٢)

(١) الطبيعة لأرسطو (جـ١/صـ ٤٢٦–٤٤٨، ٤٥٦) طوالع الأنوار (صـ ١٩٧).
(٢) النجاة لابن سينا ق٢ (صـ١١٥– ١١٨) وإلهيات الشفاء(جـ١/صـ٦٧).

CamScanner

وهذه الدليل لا يتم إلا بعد تمام أمور أهمها: أ–أن قبول التساوي يقتضي الكمية، ويثبت لو ثبت قبول الزمان للتساوي لذاته، أما لو قبل المساواة لغيره فلا يوجب الكمية. ب–وأن الجوهر الفرد مستحيل الوجود ليلزم كون الزمان كماً متصلاً لا منفصلاً. جـ–لو كان الزمان كمًا متصلًا غير مجتمع الأجزاء في الوجود لزم أن يكون له محل؛ لعرضيته وإما لحاجته إلى المادة.

د–وأن الزمان لا ينقطع، وفي الدليل ما يشير إلى هذه المقدمات.

وعليه فالفلاسفة يربطون بين الزمان والحركة، فالحركة داخلة في مفهوم الزمان فهو مقدار الحركة، فهو كم متصل، فالزمان يرتبط بالحركة من حيث أنها مقدار، والمقدار كم، ولأن الحركة والزمان يقدر كلاهما بالأخر، فكلاهما عدد، وعليه فالزمان عدد للحركة من قبل المتقدم والمتأخر، وإذا كان الزمان عددًا للمتصل فهم كم متصل، ويكون الزمان المتصل عددا والعدد كم منفصل؛ بتحديد مفهوم الآن وتعلقه بالزمان كما فعل أرسطو فقال" الآن مقدار الزمان من جهة أنه يحده بالمتقدم والمتأخر"[١]، "والآن في الزمان موهوم –غير موجود– كالنقطة في الخط"[٢] وبكون الآن موهوم يكون الزمان متصلًا.

فقط تخالف المتقدمون والمتأخرون[٣] منهم في الحركة مستقيمة أو مستديرة، وأضاف المتأخرون وصف الزمان بالإمكان فـ"الإمكان ذا مقدار يطابق الحركة"[٤] فهو الصورة المتحركة –التي وجدت مع وجود العالم المحسوس– للأبدية التي يتصف بها العالم المعقول. فيلزم قدم الزمان.

(١)الطبيعة لأرسطو(جـ١/صـ ٤٢٠)

(٢) منطق الشفاء كتاب المقولات لابن سينا(جـ١/صـ١٣٣).

(٣)الطبيعة لأرسطو(جـ١/صـ ٤٢٦، ٤٣٢) وعيون الحكمة لابن سينا(صـ١٩)

(٤)الإمكان عنده هو العام: وهو سلب الضرورة عن أحد الطرفين، وهو بخلاف الإمكان الخاص عند المتكلمين: سلب الضرورة عن الطرفين. نشر الطوالع للمرعشي(صـ٧١).

CamScanner

والشيخ الرئيس يتابع أرسطو في قدم الزمان، فيقول في نجاته: "الزمان ليس محدثًا حدوثًا زمانيًا[١]، بل حدوث إبداع لا يتقدمه محدثه بالزمان والمدة، بل بالذات"[٢] فيلزمه أن الزمان موجود منذ القدم، فهو يتابع أرسطو في القول بقدم الزمان وربطه بالحركة الكلية، فقدم الحركة يؤدي إلى قدمه، وليس كل ما وجد مع الزمان يكون موجودا في الزمان عنده، بل يوجد ما هو خارج الزمان وهو الدهر.

- **الشيخ الرئيس يفرق بين الزمان والدهر والسرمد**

بناء على ما سبق فالشيخ الرئيس يفرق: بين الموجود في الزمان وهو: إما أولًا: فأقسامه الماضي والمستقبل، وأطرافه الآنات–جمع الآن– أو ثانيًا: فالحركات، أو ثالثا: فالمتحركات، والحركة في الزمان فالمتحركات فيه، ونسبة الآن–وهمية– للزمان كالنقطة للخط أو كالوحدة للعدد، ووجود الماضي والمستقبل فيه كوجود أقسام العدد في العدد، ووجود المتحركات فيه كوجود المعدودات في العدد، وبين ما هو خارج عن الزمان –كالإله والعقول والنفوس– فليس في زمان، وإذا قوبل الخارج عن الزمان مع الزمان كان له ثبات مطابق لثبات الزمان، وهذه الإضافة تسمى دهرًا، فالدهر هو المحيط بالزمان. والموجود من هذا الخارج موجود في الدهر وليس في الزمان، وعند نسبة بعض الخارج إلى بعض فهو السرمد[٣]

(١) الحدوث الذاتي: كون الشيء محتاجا في وجوده إلى الغير وهو أعم من الزماني. والحدوث الزماني: هو كون الشيء مسبوقًا بالعدم سبقًا زمانيًا، والقدم الذاتي: هو كون الشيء غير محتاج إلى الغير وهو أخص من الزماني. والقدم الزماني: هو كون الشيء غير مسبوق بالعدم. التعريفات للجرجاني(صـ٧٣، ١٥٠)

(٢) النجاة للشيخ الرئيس الطبيعيات (صـ١١٧)

(٣) السابق (صـ١١٨)

CamScanner

فالشيخ الرئيس يفرق بين الزمان والدهر والسرمد، فالزمان هو: نسبة المتغيرات إلى المتغيرات بالتقدم والتأخر والمعية، كنسبة وجود الصور والأعراض إلى حركات الأفلاك. والدهر هو: نسبة المتغيرات إلى الدائمات الثابتات. كنسبة معية حركات جرم الفلك إلى وجوده. والسرمد هو نسبة الدائمات الثابتات إلى الدائمات الثابتات بالمعية، كنسبة وجود الأفلاك إلى وجود العقول.(١)

وتقرير دليل بطلان ذلك كله: أن الزمان لو كان موجودًا لكان مقدارًا للحركة، والتالي باطل. ودليل بطلان التالي أن امتداد الحركة لا وجود له في الخارج، لأن الامتداد لا يحصل إلا عند حصول الجزأين، وهما لا يحصلان دفعة ومرة واحدة، فعند حصول الجزء الأول لا يكون الثاني حاصلًا، وعند حصول الجزء الثاني يكون الأول منقضيًا فائتًا، وإذا لم يوجد امتداد الحركة في الأعيان لم يوجد مقدار الامتداد؛ لاستحالة قيام الموجود بما هو ليس بموجود. فالزمان لو عُرف بمقدار الحركة فهو غير موجود في الخارج. (٢)

(١) طبيعيات الشفاء السماع الطبيعي لابن سينا(صـ١٧١، ١٧٢) وعيون الحكمة (صـ٢٨). غاية ما هنالك أن الشيخ الرئيس فرق بينهم لكثرة ردود المتكلمين على أزلية الزمان عند قائده أرسطو، فقال بالدهر والسرمد، لكنه لا يفيد بناء على أصلهما= =الفاسد– الزمان مقدار الحركة المنطبقة على المسافة–؛ فلو كان الزمان موجودًا في الخارج لكان مقدارًا لمطلق الوجود–العقول أو الأفلاك–، ولو كان الزمان مقدارًا لمطلق الوجود فيستحيل إذا كان الزمان متغيرًا أن ينطبق على الموجودات الثابتة المستمرة الوجود–كالعقول أو الأفلاك–، وإذا كان الزمان ثابتًا فيستحيل أيضا وجوده وانطباقه على الموجودات المتغيرة الوجود. يراجع: شرح معالم أصول الدين لابن التلمساني (صـ ١٥٧) تحقيق نزار حمادي/ط:١/ دار الفتح الأردن ٢٠١٠، المختصر الكلامي لابن عرفة (صـ٣٦٦) تحقيق نزار حمادي/ط: دار الضياء بالكويت. بدون.

(٢) تلخيص المحصل للطوسي(صـ٦٢)، المختصر الكلامي لابن عرفة(صـ٣٦٧)

CamScanner

- **الزمان عند الكندي**

ولو نظرنا للكندي [١] كفيلسوف، فهو يخالف أفلاطون ويتفق مع أرسطو في تعريف الزمان بمقدار الحركة وأن الزمان كم متصل فقط، لكنه يخالف أرسطو وأتباعه فيستخدم مصطلح الإبداع مشيرًا إلى الحدوث؛ فالزمان عنده حادث؛ لأنه يوجد في الجسم المتناهي، وكل ما وجد في متناه فهو متناه، وكل متناه حادث، لأن كل ما له نهاية فيجب أن يكون له بداية، فالحركة والزمان والجرم بينهم تلازم وجودي، فلا يتقدم أحدهما على الأخر، وهي أمور أبدعها الله من لا شيء.[٢] فيتفق مع أرسطو في نفي الزمان اللاعقلاني المجرد البعيد عند أفلاطون، ولكنه يخالف أرسطو وأتباعه في القول بحدوث الزمان لحدوث العالم.

- **الأشاعرة وعدمية الزمان**

وأنكر الأشاعرة وجود الزمان[٣] الذي هو: الكم المتصل الغير القار، وقالوا: إنه أمر اعتباري لا وجود له في الخارج. فلو وجد الزمان في الخارج فإما أن يكون قار الذات أو لا، فإن كان قار الذات اجتمع الحاضر والماضي معًا، فيكون يوم الطوفان مع اليوم، وحادث اليوم هو حادث يوم الطوفان، وهذا ظاهر الفساد، وإن كان غير قار الذات يلزم تقدم بعض أجزاء الزمان على بعض تقدمًا لا يتحقق إلا

(١) أبو يوسف الكندي الكوفي يعقوب بن إسحاق بن الصباح ابن الأشعث بن قيس ولد في الكوفة ١٨٥هـ، وتُوفي ببغداد ٢٥٢هـ. يراجع: الوافي بالوفيات للصفدي(جـ٢٨/صـ ٧٨) ط: دار إحياء التراث – بيروت– ٢٠٠٠م

(٢) رسائل الكندي الفلسفية (صـ١٥، ٥٠، ٥١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٥١، ١٥٢،= =١٦١، ١٦٢) تحقيق محمد أبو ريدة/ ط:٢/ حسان القاهرة ١٩٧٨م. والتفكير الفلسفي في الإسلام أ. د/ عبد الحليم محمود(صـ٢٢٥، ٢٢٦) ط:٢/ دار المعارف القاهرة١٩٨٩م.

(٣) يراجع: مقالات الإسلاميين للأشعري(جـ٢/صـ١٣٠، ١٣١)،وشرح المقاصد للتفتازاني (جـ١/ صـ١٨٦ــ١٩٣)، مطالع الأنظار للأصفهانى (صـ٤٠٨ـ ٤١٩).

CamScanner

مع الزمان؛ لأن العقل يقضي أن جزءًا منه كان موجودًا ولم يبق الآن، وأن جزءا منه حاصل الآن، والماضي والآن هو الزمان، فيلزم منه وقوع الزمان في زمان، فيتسلسل. وهو باطل.(١)

فأهل السنة الأشاعرة أرادو أن تشمل القدرة الإلهية كل ممكن، فقالوا العالم: جواهر وأعراض، والجميع حادث؛ فالعرض يحتاج للجوهر ليوجد فيه، والجوهر فرد، أو جسم مركب من جوهرين فأكثر، وكلاهما حادث لتحيزه فيكون متناهيًا لحدوثه، وكما يتناهى الجسم؛ لتركبه من الجوهر الفرد يتناهى الزمان لتركبه من الآن(٢)

فالزمان مجموعة من الآنات أو الأحوال الحاصلة التي وجدت بعد عدم، وعقلا مادامت الآنات توجد وتعدم فهي متناهية، فالآن الحاضرة تنتهي ببداية الآن التي بعدها، فالزمان ليس قار الذات، وإذا كانت الآن الحاضرة متناهية بالتي تليها والتي تليها كذلك، فالزمان متناهي لتناهي أجزاءه. فالحركة والزمان

(١) شرح المقاصد للتفتازاني(جـ١/ صـ١٩٣)، مطالع الأنظار للأصفهاني (صـ ٤١٧). **والتسلسل هو**: ترتيب أمور غير متناهية، أو أن يستند الممكن في وجوده إلى علة تؤثر فيه، وتستند هذه العلة المؤثرة إلى علة مؤثرة فيها، وهكذا إلى غير نهاية ، وهو محال. يراجع: تحرير القواعد المنطقية/للقطب الرازي(صـ١٤) والأقوى في إبطاله القطع والتطبيق، فإنك إذا فرضت سلسلتين وجعلت إحداهما من الآن إلى ما لا نهاية، والأخرى من الطوفان إلى مالا نهاية، وطبقت بينهما، فقابلت بين أفرادهما من بداية كل منهما، فإذا طرحت من الآنية واحدا؛ طرحت بمقابلته من الطوفانية واحدا، وهكذا؛ فلا يخلو: ١- إما أن تفرغا معا؛ فلكل منهما نهاية، وهذا خلاف الفرض. ٢- أو لا يفرغا؛ فيتساوى الناقص بالكامل، وهو محال. ٣- أو تفرغ الطوفانية ولا تفرغ الآنية؛ فتكون الطوفانية متناهية؛ فيلزم أن الآنية متناهية مثلها؛ لأنها إنما زادت على الطوفانية بقدر متناه، من الطوفان إلى الآن،= =والمعلوم أن الزائد على المتناهي بقدر متناه يكون بالضرورة متناهيًا، فالكل محال؛ فالتسلسل محال؛ فما أدى إلى المحال فهو محال. حاشية الأمير(صـ٦١).

(٢) شرح المواقف (جـ٥/ صـ٨٥) وما بعدها.

CamScanner

عندهم متناهيان؛ لتركبهما من أجزاء لا تتجزأ قياسًا على تركب العالم من الجوهر الفرد وأنه متناهي.[١] بل ومن رفض

نظرية الجوهر الفرد أيضًا يثبت تناهي كل ما سوى الله تعالى.[٢]

فكما يتناهى الجسم لتركبه من أجزاء لا تتجزأ يتناهى الزمان لتركبه من الآنات، فالجسم والزمان كلاهما كم متصل، وهما يتناهيان لتركبهما من الآنات والأجزاء التي لا تتجزأ. فالزمان حادث عند الأشاعرة، وينتقدون من يقول بقدمه بناء على أنه مقدار الحركة فأثبت أزلية الحركة، فنفى الأشاعرة أزلية الحركة بناء على المسبوقية بالغير، وكل ما كان كذلك لا يكون أزليًا[٣].

والقول بعدم تناهي الزمان وقدمه لا يستقيم مع جزم الفلاسفة بانتهاء الأسباب إلى سبب يسمونه صانع العالم، فلو جاز تسلسل الزمان إلى ما لانهاية فلماذا لا يجوز تسلسل الأسباب إلى ما لا نهاية؟! بل من يقول بأزلية العالم والزمان مع إنكار الخالق له أكثر انضباطًا ومنطقيا؛ فالقول بوجود الخالق الذي لم يتقدم على مخلوقه إلا تعقلًا فقط لا قيمة له.[٤]

فالزمان حادث، والباري تعالى متقدم على العالم والزمان. قال ﷺ «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ»[٥] أي: كان ولا عالم، ثم كان ومعه عالم. ومعنى: كان ولا عالم، وجود الذات الإلهية وعدم ذات العالم بكل ما يشمله العالم، ومعنى: كان

(١) المواقف مع شرحها (جـ٧/ صـ١٥).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري(جـ٥/صـ٥٩) ط: مكتبة الخانجي القاهرة. بدون.

(٣) تهافت الفلاسفة للغزالي(صـ١٠٧) تحقيق: د سليمان دنيا ط:٦ دار المعارف، القاهرة – مصر بدون، وشرح المواقف للجرجاني (جـ٧/صـ٢٣٠)وما بعدها.

(٤) تهافت الفلاسفة للغزالي(صـ١١٠)

(٥) قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» المستدرك على الصحيحين

CamScanner

ومعه عالم، وجود الذاتين معًا. فمعنى التقدم انفراده بالوجود فقط.[١]

- **الزمان في القرآن**

وبالنظر إلى كتاب الله تعالى نجد أن الزمان ينطبق على المخلوق ويرتبط به، ولا يرتبط بالقديم ولا ينطبق على الأزلي، فالله تعالى استغرق الأزمنة بقوله ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ **الحديد/ ٣** فالله تعالى كان ولا زمان، ويبقى بعد انتهاء الزمان، فالزمان أمر نسبي. فلا يوجد مع الله تعالى. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾الإسراء/ ١٢ **بل ويؤكد القرآن على نسبية الزمان** فيقول تَعَالَىٰ:﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾السجدة/ ٥ فالمقدار مختلف بالنسبة لتقدير الباري تعالى وتقدير العباد. والزمان يقصر ويطول بحسب المخلوق أو المتحرك وسرعته، فاليوم في حركة جبريل والملائكة يساوي ألف سنة بحسابنا، أو أكثر، وقد يكون مدته لا نهاية من الزمان قال تعالى ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾ ق/ ٣٤ ، فالحركة بالنسبة لجبريل والملائكة مختلفة عن غيرهم، وهذا ما قاله اينشتاين من أن الزمان نسبي، وتختلف مقاييسه باختلاف الكواكب؛[٢] لاختلاف دوران الكواكب بعضها عن بعض، فالزمان يختلف باختلاف الكوكب. فالقرآن الكريم يتوافق مع ما توصل إليه العلم الحديث.

للحاكم النيسابوري حديث رقم: ٣٣٠٧(جـ ٢/صـ٣٧٢) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ ط:١/دار الكتب العلمية – بيروت١٩٩٠م

(١) تهافت الفلاسفة للغزالي(صـ١١٠) .

(٢) الأسس العلمية والفلسفية لنظرية النسبية عند أينشتاين د علي المالكي (صـ ٥٠) وما بعدها ط:١/ الدار التونسية للكتاب ٢٠١٣م.

CamScanner

والخلاصة: أن الفلاسفة لما نفوا الجوهر الفرد قالوا بنفي الآن في الزمان، فقالوا الزمان كم متصل، ودفعهم هذا للقول بوجود الزمان فأداهم إلى القول بقدم الزمان والحركة والعالم، والأشاعرة لقولهم بالجوهر الفرد قالوا الزمان كالكم المنفصل في التناهي، وعليه أثبتوا حدوث كل ما سوى الباري تعالى.

فكما يتناهى الجسم لتركبه من أجزاء لا تتجزأ يتناهى الزمان لتركبه من الآنات، فالجسم والزمان كلاهما كم متصل، وهما يتناهيان لتركبهما من الآنات والأجزاء التي لا تتجزأ. فالزمان حادث عند الأشاعرة، وينتقدون من يقول بقدمه بناء على أنه مقدار الحركة فأثبت أزلية الحركة، فنفى الأشاعرة أزلية الحركة بناء على المسبوقية بالغير، وكل ما كان كذلك لا يكون أزليًا.

المكان بين الأشاعرة والفلاسفة

يذكر المكان في مباحث الكم؛ تماشيًا مع الفلاسفة القائلين في تعريفه: السطح الباطن للحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوي كالسطح الباطن للثياب المماس للسطح الظاهر من الجسم. فبحثه هنا على سبيل العرض تماشيًا مع تعريف الفلاسفة المشائين للمكان. فأرسطو يريد إثبات المكان من مقولة الكم فيقول وهو يشرح ماصدقات الكم: "والمكان أيضا من المتصلة–أي الكم المتصل–؛ لأن أجزاء الجسم تشغل مكانًا، وهي تتصل بحد ما مشترك، فتكون أجزاءُ المكان أيضًا التي يشغلها واحدٌ واحدٌ من أجزاء الجسم، تتصل بالحد بعينه الذي به تتصل أجزاءُ الجسم؛ فيجب أن يكون المكان أيضًا متصلًا، إذا كانت

CamScanner

أجزاؤه تتصل بحد واحد مشترك."[١] فالمكان لأجزائه وضع بالقياس إلى ما هو سطحه، وبالقياس إلى ما هو حاويه. [٢]

المكان بين المنطق والعلم الرياضي والطبيعي

والمكان قد يُفسر **منطقيًا، أو رياضيًا، أو طبيعيًا** والأخير موضوعنا

فالمكان منطقيًا يدخل في مقولة الأين، فيقال الأين في المنطق على نسبة "المتمكن إلى المكان الذي هو فيه، وحقيقته كونه في مكان" فالمكان منطقيًا بمنزلة النوع لأصنافه؛ لأن الفروق بين الفوق والتحت وغيرهما فروق اعتبارية أو عرضية، وليست ذاتية، فكون الجسم في جهة الفوق فهو في أين، وكونه في تحت فهو في أين، وكونه في الهواء فهو في أين، وكونه في الماء فهو في أين، وهكذا، وللأين خواص ذكرت في كتبهم[٣]

ومفهوم المكان الرياضي هو مكان الجسم التعليمي، أو الصورة العقلية المجردة للجسم التعليمي، ومجال دراسته علم الهندسة فيدرس "أوضاع الخطوط، وأشكال السطوح والمسطحات والنسب كلها إلى المقادير والمقادير كلها إنما هي مقادير، والتي لها بما هي ذوات أشكال وأوضاع" فيدخل هذا ضمن مقولة الكم

(١) منطق أرسطو كتاب المقولات لأرسطو (جـ١/صـ١٦).
(٢) منطق الشفاء كتاب المقولات لابن سينا (جـ١/صـ١٢٩).
(٣) منطق الشفاء ك المقولات(جـ١/صـ٢٢٨) وما بعدها، والنجاة له أيضا (صـ٨١)، ومعيار العلم (صـ ٣٢٣)وما بعدها، والمباحث المشرقية للرازي(جـ١/صـ ٤٥١) وما بعدها.

CamScanner

الرياضي[١]، وهذا أيضا ليس بمقصد لهذه الدراسة، وإنما ذكرته توضيحًا للمقصود وبيانا للفروق؛ فإن الشيء بمميزاته يظهر.

ومفهوم المكان الطبيعي هو دراسة المكان ضمن العلم الطبيعي مرتبطًا بالحركة والزمان فكلاهما له صلة بالجسم الطبيعي عند الفلاسفة كما سيأتي.

- **تعريف المكان لغة وعند الأشاعرة**

المكان في اللغة: الموضع الحاوي للشيء. وجمعه أماكن وأمكنة.[٢]

وعند الأشاعرة: الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده[٣].

أو البعد المفروض الممتد في كل الجهات، الذي يشغله الجسم على سبيل التوهم. فعندهم المكان (لا شيء) بمعنى أنه معدوم في الخارج، وليس بمعنى أنه معدوم في نفس الأمر. أي: المكان له ثبوت في الاعتبار عندهم.

وقد يقال: لا ثبوت للمكان إلا بمجرد التوهم عند الأشاعرة، فيكون معدوماً في نفس الأمر، فمن أين علم أن مرادهم به اللاشيء في الخارج دون نفس الأمر؟ **فيجاب:** بأنهم لا يطلقون الموجود والمعدوم، إلا على ما تسميه موجودًا خارجيًا أو معدومًا خارجيًا، وعلى هذا فكون المكان له ثبوت في الاعتبار لا ينافي مذهب المتكلمين[٤].

(١) رسالة في أقسام العلوم العقلية(ضمن تسع رسائل) لابن سينا (صـ١١١)، وقارن إحصاء العلوم للفارابي(صـ٩٩).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (جـ ٢/صـ٣٨٢)ط دار القلم دمشق. بدون

(٣) التعريفات للجرجاني (٢٠٣). للمزيد: مقالات الإسلاميين للأشعري (جـ٢/صـ١١٦). والشامل للجوينى (صـ٤٤٤)، مطالع الأنظار للأصفهانى (صـ٤١٩ـ ٤٣٢).

(٤) نشر الطوالع لساجقلي زاده (صـ ١١٨) وقارن شرح المواقف(جـ٥/صـ١١٥).

CamScanner

وعند أفلاطون[١]هو البعد المجرد عن المادة الموجود الذي ينفذ فيه الجسم

تعريف المكان عند الحكماء المشائين: هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي عليه. وهذا عند أرسطو ومتابعيه الكندي والفارابي وابن سينا[٢] **ويتفق جميع المشائين** في ذكر حدهم الفاصل للمكان وهو كلمة مماس أو تماس.

وتنحصر تعريفات العلماء للمكان فيما ذُكر[٣]؛ ووجه الحصر أن المكان إما السطح المذكور أو الخلاء الموجود أو الموهوم، ولا مزيد عليه.[٤]

- **علاقة الزمان بالمكان**

(١) محاورة طيماوس لأفلاطون(صـ٩٦، ٢٦٧، ٢٧٦)، والخصوبة والخلود في انتاج أفلاطون أ د/ محمد غلاب(صـ١٣٢) ط: القاهرة ١٩٦٢م.

(٢) الطبيعة لأرسطوطاليس(صـ١٩١، ١٩٢)، ورسائل الكندي الفلسفية(جـ٢/صـ٢٦، ٢٨، ٣٠)، ورسالة في عيون المسائل للفارابي (صـ٧١)(ضمن المجموع)ط:١/ القاهرة ١٩٠٧م، وفي هذه الرسالة ذكر تعريف أرسطو بتمامه، والحروف للفارابي (صـ٨٨، ٨٩)، ورسالة الحدود لابن سينا(صـ٢٣٤)، والنجاة لابن سينا(صـ١٢٤) والشفاء(السماع الطبيعي كاملا مع الطبيعيات).

(٣) وأما العامة فالمكان ما يمنع الشيء من النزول فيجعلون الأرض مكانًا للحيوان دون الهواء المحيط به حتى لو وضعت رأس السهم على رأس قبة بمقدار درهم فمكانها ما يمنعها من النزول فقط. شرح المواقف (جـ٥/صـ١٢٢، ١٢٣).

(٤)لأن المكان يجب أن يكون حاويًا للجسم عند وجوده فيه، والجسم مالئا له، فلو كان خطًا أو سطحًا لم يكن كافيًا للجسم، ولو كان المكان ممتدًا في الجهات كلها فلا يخلو إما أن يكون بعدًا وفراغًا موهومًا كرأي المتكلمين، أو فراغًا وبعدًا موجودًا كرأي أفلاطون، أو السطح الحاوي للجسم المحوي فيمتد في الجهات الثلاث وموجود كما قال أرسطو وابن سينا. حاشية الجرجاني لمطالع الأنظار (جـ١/صـ٤٢٣)، وشرح المواقف(جـ٥/صـ١١٩).

CamScanner

ومباحث الزمان تدخل تحت شقين طبيعي وميتافيزيقي، ولكن علاقة الزمان بالمكان تحت الشق الأول من ناحية علاقتهما بالحركة عند القائلين:

الزمان مقدار الحركة كأرسطو ومن تبعه كما تقدم، فالنظر في الزمان متعلِّق للنظر في المكان؛ فكلاهما ملازم للحركة عندهم(١)، فيربطون الزمان بالمكان عن طريق الحركة؛ لأن الحركة تخضع للمقدار الكمي المتصل، والزمان مقدار الحركة فهو متصل مثلها، وما يتعلق بالحركة هو المُحرِك، وما فيه، وما منه، وما إليه، والزمان(٢). والمقصود بـ(ما منه) مكان بداية الحركة، ومعنى(ما إليه) المكان المنتهية إليه الحركة. ومكان البداية والنهاية للحركة يسمى المسافة، فالصلة بين الحركة والزمان والمكان قائمة فلا حركة إلا في زمان ومكان، فالزمان والحركة يحتويهما مكان. فالمكان أعم من الزمان وأثبت في الوجود، والزمان سيال شديد الالتصاق بالحركة، بخلاف المكان الذي يفارق الجسم عند الحركة، ولا يفسد بفساد الجسم. (٣)

هكذا تظهر العلاقة بين الزمان والمكان، ويتضح أن مفهوم المكان عندهم أعم من مفهوم الزمان؛ لأن أحداث وآنات الزمان إنما تجري في المكان وتابعة له، وهي تغاير مقداره ومكانه.

فالفلاسفة المشائين قالوا المكان سطح، ولذلك فالمكان وجودي عندهم، بمعنى أنه موجود في الخارج، والأدلة على وجوده مبسوطة في كتبهم (٤)

(١) رسالة الحدود لابن سينا(صـ٩٢)، منطق الشفاء ك المقولات(جـ١/صـ١٢٩)، والسماع الطبيعي له أيضًا(صـ١٤٨) وما بعدها، والمباحث المشرقية للرازي(جـ١/صـ١٤١).

(٢) النجاة لابن سينا (صـ١١٨)، السماع الطبيعي له أيضا (صـ٨٧).

(٣)السماع الطبيعي لابن سينا (صـ١٤٨)، والكليات للكفوي (صـ٣٣٢) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ط: مؤسسة الرسالة – بيروت بدون.

(٤) الطبيعة لأرسطوطاليس(جـ١/صـ٢٦٧)وما بعدها، رسائل الكندي(جـ٢/صـ٢٨، ٣٠)، الحروف للفارابي(صـ٨٨، ٨٩)، السماع الطبيعي لابن سينا (صـ١١٣) وما بعدها.

CamScanner

- **محل النزاع في المكان بين الأشاعرة والفلاسفة**

المكان موجود في الاعتبار اتفاقًا بين الجميع؛ لأن المتحرك بالحركة المستقيمة ينتقل من مكان إلى مكان آخر ببداهة العقل، والانتقال من العدم إلى العدم محال.(١) والمكان مقصد المتحرك بالحركة الأينية، ومشار إليه(٢) بالإشارة الحسية، وكل ما كان كذلك يكون موجودًا. فالمكان موجود. فمقصد المتحرك بالكيفية لا يكون حاصلاً حال الحركة، فالمتحرك من السواد إلى البياض لا يكون بياضه حاصلاً في وقت حركته، فمقصده التحصيل بالحركة، فيلزم ألا يكون موجوداً حال الحركة، وإلا لزم تحصيل الحاصل، وأما المتحرك في الأين فيقصد بحركته حصوله في المكان لا تحصيله في نفسه، فيجب أن يكون موجودًا حال الحركة؛ لاستحالة طلب الحصول في المعدوم.(٣)

ومحل النزاع بين الأشاعرة والفلاسفة هو هل المكان موجود في الخارج أو لا؟ وذلك يرجع إلى تصوره وتعريفه، فعند الأشاعرة هو بعد موهوم يشغله الجسم بنفوذه فيه، ويرادفه الحيز(٤)، وعند أفلاطون هو البعد المجرد الموجود ينفذ فيه الجسم. وأما عند أرسطو وأتباعه فهو السطح الباطن من الحاوي.

- **الخلاء يترتب على تعريف المكان**

(١) شرح المواقف للجرجاني (جـ٥/صـ١١٩) وما بعدها

(٢) **إن أريد** الإشارة إليه بالذات فممنوع عند الأشاعرة وإن أريد الإشارة إليه بتبعيته للجسم المتمكن، ولا يلزم وجوده فمسلم. حاشية السيالكوتي مع شرح المواقف(جـ٥/ صـ١١٥)

(٣) حاشية الجرجاني على مطالع الأنظار (جـ١/صـ ٤٢٢).

(٤) والفرق أن الحيز يشغله الممتد–الجسم–، وغير الممتد –الجوهر الفرد–فكل مكان حيز، وليس كل حيز مكان، فالمكان أخص. والجهة والحيز متلازمان في الوجود؛ فكلاهما مقصد للمتحرك الأيني، إلا أن الحيز مقصد للمتحرك بالحصول فيه، والجهة مقصد له بالوصول إليها، فالجهة منتهى الحركة، لا ما يصح فيه الحركة، وكلاهما مقصد الإشارة الحسية، فما يكون مختصًا بجهة يكون مختصًا بحيز. الكليات للكفوي (صـ٣٤٨).

CamScanner

وترتب على الخلاف في تعريف المكان أن الأشاعرة لما عرفوا المكان بالبعد المجرد الموهوم قالوا بجواز أن يخلو ذلك البعد من الشاغل، وهذه حقيقة الخلاء [١]، فهم جوزوا الخلاء، وقالوا بإمكانه.

واستدلوا عليه بأدلة أشهرها: أنه إذا حدث انطباق بين صفحتين كلاهما ملساء، ورُفعت الصفحة الفوقانية دفعة، لزم خلو الوسط أول زمان الارتفاع؛ فانتقال الجسم من الجانب إلى الوسط إما: ألا يحتاج إلى المرور بالطرف، وهو ظاهر الفساد، أو يحتاج وحينئذ إما أن الجسم في وقت وجوده في الطرف يوجد في الوسط أيضاً، وهو محال، أو لا يكون، فيكون الوسط –في وقت وجود الجسم المنتقل في الطرف–خالياً، وهو المطلوب[٢]

أما الفلاسفة القائلين إن المكان هو: البعد المجرد الموجود، فإنهم وإن منعوا وجود بعد موهوم خالي عن الشاغل، لكنهم اختلفوا، فبعضهم جوز الخلاء، وبعضهم لم يجوزه، والمجوزون وافقوا المتكلمين في وجود الخلاء.

أما الفلاسفة القائلين المكان هو السطح فقالوا بمنع الخلاء وأدلتهم مبنية على أن المكان كم، لأنه السطح الحاوي، وكذا الخلاء كم[٣].

- **الخلاء عند الكندي والفارابي**

(١)الخلاء: هو البعد المفطور عند أفلاطون؛ والفضاء الّذي يثبته الوهم، ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر عند الأشاعرة كالفضاء المشغول بالماء، أو الهواء في الكوز، فالخلاء فراغ موهوم ليس بموجود في الخارج؛ فلو وجد لكان بعد مفطورًا؛ وهم لا يقولون به والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء. والأشاعرة لإمكانه. التعريفات للجرجاني(صـ٩٠)

(٢) مطالع الأنظار(جـ١/صـ٤٣٠، ٤٣١)، وقارن شرح المواقف(جـ٥/صـ١٤٠).

(٣) السماع الطبيعي لابن سينا(صـ١٢٣)، والنجاة له أيضًا(صـ ١١٩).

CamScanner

فالكندي بعد تعريفه المكان بالسطح وإثباته له، قال بنفي الخلاء في العالم وخارجه؛ فلا وجود لمكان لا متمكن فيه، فوجود المكان يؤدي إلى ضرورة وجود المتمكن عنده، فالعالم مملوء، ولا خلاء فيه، وخارج العالم لا وجود للخلاء ولا للملاء؛ لتناهي العالم عنده بالفعل، فلا وجود لبعد خارج العالم ملاءً أو خلاءً.(١)

وأيضا الفارابي لموقفه من تناهي الجسم وأبعاده، فلا وجود بالفعل لجسم بلا نهاية؛ لذا قال بتناهي جرم العالم، لتركب العالم من بسائط تكون كرة واحدة، فلا خلاء داخل العالم ولا خلاء ولا ملاء خارجه. (٢)

- **الخلاء كم عند الشيخ الرئيس**

والشيخ الرئيس أنموذجًا للفلاسفة القائلين: الخلاء كم فممنوع. فهو يثبت الخلاء كمًا، ويريد بذلك نفي وجوده، باستخدام برهان الخلف المنطقي.(٣)

فهو يصور رأي المتكلمين: على أن من قال إن الخلاء موجود يستند إلى أن كل ما هو غير محسوس فهو لا شيء، والهواء لا شيء فهو غير محسوس، والهواء يساوي الخلاء عندهم، فالخلاء عدم صرف عندهم، فالمتكلمين –عنده– أخذوا إناءً فارغًا، فظنوا أنه لا شيء، بل يوجد أبعاد خالية فقط ليس فيها جسم، فالخلاء لاشي. هذه هي حجتهم كما ذكرها ابن سينا.(٤)

(١) رسائل الكندي الفلسفية الفلسفة الأولى(جـ١/صـ١٠٩) وما بعدها.

(٢) رسالة في عيون المسائل –ضمن مجموع رسائل– للفارابي (صـ٧١، ٧٢).

(٣)قياس الخلف هو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه. عند الجمهور سمي خلفًا أي باطلًا ليس لأنه باطلٌ في نفسه، بل لأنه ينتج الباطل على تقدير عدم حقية المطلوب، وقيل:= =لأن المستمسك به يأتي بمطلوبه لا على سبيل الاستقامة، بل من خلفه. يراجع: تحرير القواعد المنطقية للقطب الرازي مع حاشية الجرجاني(صـ٢٥٤).

(٤) السماع الطبيعي ضمن الشفاء لابن سينا (صـ ١١٧)

CamScanner

وينطلق ابن سينا مناقشًا للمتكلمين بعد تصويره لمذهبهم فيقول: «إن كان الخلاء لا شيء البتة فلا نزاع بيننا وبينهم، فليكن الخلاء شيئا حاصلًا والتسلم هذا لهم» وعليه فالخلاء عنده «شيء موجود، ولذلك فهو جوهر أو كم»[١] وهذا الشيء الموجود، يقدر بكم وله حجم، ولا يجوز «أن يكون بين شيئين أقل واكثر، والخلاء قد يكون بين جسمين أقل وأكثر»[٢] فظهر أن الخلاء ليس عدمًا صرفًا عنده. ويستدل على ذلك بمثال محسوس فيقول: «الخلاء المتقدر بين السماء والأرض أكثر من المتحصل بين بلدين في الأرض»[٣]. وعليه فالخلاء يمكن تقديره بمقدار معين.

وعلى هذا فالخلاء كم عنده «لأن الخلاء يقبل المساواة والتجزئة، فيكون كمًا» وإذا كان الخلاء كمًا، فالكم متصل أو منفصل، و«الخلاء ليس بمنفصل، لأن كل منفصل فإما أن يكون الانفصال عرضًا له أو يكون لذاته، –والانفصال في الخلاء لا يكون بالعرض ولا بالذات–لأنه لو كان بالذات لكان عديم الحد المشترك بين اجزائه، فإذن الخلاء ليس بمنفصل الذات»[٤] ولو كان متصل الذات فهو متحيز في الجهات «وكل ما كان كذلك فهو كم ذو وضع. فالخلاء كم ذو وضع» فالخلاء يقبل الانقسام الوهمي في الأبعاد الثلاثة، وكون الخلاء بهذه الأبعاد عند ابن سينا«إما لذاته، أو لشيء حل فيه الخلاء، أو لشيء هو حل في الخلاء وهو مقدار موضوعه الخلاء»[٥] والخلاء على هذه الصورة يترتب عليه محالات عديدة، تؤكد كلها عدم وجود شيء بهذه الأبعاد–عنده– منها:

(١) السابق (صـ ١٢٣)
(٢) السماع الطبيعي لابن سينا (صـ١٢٣) والنجاة له أيضًا (صـ ١١٩)
(٣) عيون الحكمة لابن سينا (صـ٢٣) والسماع الطبيعي (صـ ١٢٣).
(٤) السماع الطبيعي لابن سينا (صـ ١٢٣) والنجاة له أيضًا (صـ ١١٩).
(٥) السماع الطبيعي لابن سينا (صـ١٢٤) والنجاة له أيضًا (صـ ١٢٠)

CamScanner

(أ) لو حل الخلاء في شيء «فإما يحل في مقدار غير الخلاء، وكل ما كان كذلك فهو ملاء، فذلك الشيء ملاء، فيكون الخلاء حل في الملاء، وهذا باطل محال؛ لأنه يلزم أن يكون الخلاء ملاء.[١]

(ب) لو حل في الخلاء شيء فذلك الشيء «في محل لا يفارقه، فيكونا جسمًا، ويكون الخلاء جزءا من حقيقة الملاء، وهذا كله محال؛ لأنه إذا رفعنا المقدار في الوهم كان الخلاء وحده لا مقدار ولا إمكان لمطابقة الأجسام، فيكون حينئذ الخلاء وحده وليس بنفسه لا لمقدار حله، ولا يجوز –عنده–أن يكون الخلاء مجموع مادة ومقدارا فيكون جسمًا»[٢]. فالخلاء عند الشيخ الرئيس ليس لا شيء أو ليس بُعدًا صرفًا كما ذكر المتكلمون.

ثم يقرر ابن سينا أن الخلاء لو كان بُعدًا مفارقًا للجسم، فأما متناه، أو غير متناه، والمثبتون للخلاء لا يجوزون انتهاء الخلاء إلى ملاء؛ لأن الملاء ينتهي إلى خلاء عندهم، فالخلاء لا نهاية له، فيكون الخلاء عند المثبتين له «إما خلاء وحده، أو ملاء وحده يتحدد به الخلاء، أو تأليف خلاء وملاء»[٣] ويترتب على ذلك محالات كثيرة عند ابن سينا.

منها: أن للجسم الطبيعي علاقة بالمكان فلو كان البُعد غير متناه في الوجود، كان البعد في العالم أو خارجه، وهو محال، ولو كان الخلاء غير متناه فلا يخلو –عند ابن سينا–من «أن يدخله الملاء أو لا يدخله، فلو دخله الملاء فلا يخلو أما أن يبقى بعد الخلاء مع المداخلة موجودًا، أو معدومًا»، وكلاهما محال –عند ابن سينا؛ لأن القول بكون الخلاء بعد المداخلة معدومًا لا يصح عنده أن نسميه مكانًا؛ فالمكان هو «ما يحيط بالجسم من الخلاء المقارن له»،

(١) النجاة لابن سينا (صـ ١٢٠)
(٢) السماع الطبيعي لابن سينا (صـ١٢٤) والنجاة له أيضًا (صـ ١٢٠)
(٣) عيون الحكمة لابن سينا (صـ١٩) والسماع الطبيعي له أيضا (صـ ١٢٦).

CamScanner

وكذلك «كون المكان لا يحوي جسمين في أن واحد. فالخلاء إذن لا يكون غير متناه، لأنه لو كان كذلك لكان تارة بالقوة وتارة بالفعل بحسب كون البعد تارة يعدم وتارة يوجد. ولو كان الخلاء لا يعدم بعد المداخلة، فعندئذ يدخل بُعدٌ في بُعدٍ». وهذا باطل(١).

والشيخ الرئيس يحاول الربط بين مسألة الخلاء ومشكلة التناهي واللاتناهي بإثبات أن هناك ترابطًا بينهما.

وبالجملة فالخلاء عند الشيخ الرئيس وجميع نفاته هو عدم محض ونفي صرف يثبته الوهم ويقدره من عند نفسه، ولا عيرة بتقديره الذي لا يطابق نفس الأمر فلا يسمى بعدًا ولا خلاء.

والمكان عند الأشاعرة يقترب من معناه اللغوي، ومعناه ما يعتمد عليه المتمكن، ويؤيده أن المكان عندهم بعد موهوم وليس أمرًا موجودًا، كالأرض للسرير، والحيِّز يغاير المكان عندهم، فالحيز هو الفراغ المتوهم مع عدم اعتبار حصول الجسم فيه أو عدم حصوله، والمكان هو الفراغ المتوهم لكن مع اعتبار حصول الجسم فيه، والخلاء هو الفراغ المتوهم الذي من شأنه أن يكون مشغولًا ولكنه الآن خال عن الشاغل عند الأشاعرة، وإلا يصير الخلاء مرادفاً للحيز، ولذلك فالخلاء عندهم أخص من الحيز؛ لأن الخلاء هو الفراغ الموهوم لكن مع اعتبار ألا يحصل فيه جسم، والحيز هو الفراغ الموهوم مع عدم اعتبار حصول الجسم فيه أو عدم حصول الجسم فيه. وهذا هو الراجح.

*****

(١) عيون الحكمة لابن سينا (صـ٢٣) والسماع الطبيعي (صـ٧٦، ١٢٦).

CamScanner

الخاتمة وفيها أهم النتائج

١-وجوب الاهتمام بدراسة المقولات؛ لاشتمالها على المبادئ الأساسية للطرح الفكري للأشاعرة والفلاسفة. والمقولات تقال بمعنى تحمل، أو تقال بمعنى يُبحث فيها، وللبحث فيها أساس منطقي وأنطولوجي ولغوي.

٢-الغرض من إثبات الهيولى نفي الاختيار عن الله تعالى، إذ لو ثبتت الهيولى وجب أن تكون قديمة، ولأن الهيولي والصورة عندهم كلاهما لا تنفك عن الأخرى؛ فوجب أن تكون الصورة قديمة، ويترتب عليه لزوم قدم الصورة النوعية للأجسام بالنوع، فيؤدي ذلك إلى لزوم قدم أصول العالم من قدم هذه الأصول، وتؤدي هذه الأصول إلى إثبات الكم المتصل المتوقف على إثبات وجود الهيولى المبني عليها دوام حركة السماوات، فيلزم قدم السماوات والعناصر. وإثبات الهيولى والصورة أصل للحركة بأنواعها في مقولة الكم، ويلزم عليه قدم الحركة والزمان بناء على قدم أصلهما وهو الهيولى.

٤- القول بنفي الجزء الذي لا يتجزأ أدى إلى القول بانتفاء النقطة. ودفع الفلاسفة إلى القول بوجود الخط والسطح والجسم التعليمي في الخارج.

٤-عند المتكلمين عامة والأشاعرة خاصة كما يتناهى الجسم لتركبه من أجزاء لا تتجزأ يتناهى الزمان لتركبه من الآنات، فالجسم والزمان كلاهما كم متصل، وهما يتناهيان لتركبهما من الآنات والأجزاء التي لا تتجزأ. ونفي الجزء الذي لا يتجزأ أدى إلى القول بانتفاء الآن، ودفع الفلاسفة إلى القول بوجود ذرات الزمان ككم متصل في الخارج، وهذا مع تعريف الزمان بمقدار الحركة دفعهم إلى القول بقدم الزمان، وترتب عليه القول بقدم العالم.

٥- اللغة العربية التي شرفها الله تعالى واختارها لسانا لشرائعه وأحكامه، وخزانة لكنوزه وأسراره ليوم الدين تؤيد الطرح الفكري للمتكلمين عامة في تعريف

CamScanner

المكان. وتعريف المكان بالسطح جعله كمًا متصلًا موجودًا في الخارج، ويدفع إلى نفي الخلاء؛ بناء على أنه كم متصل في الخارج، وتعريف المكان بالفراغ المتوهم يدفع إلى إثبات الخلاء.

وختاما أقول: هذا جهد متواضع أضعه بين يدي القارئ الكريم، فإن كان فيما كتبت ما يستحق النظر فهذا فضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وحسبي أن كل عمل بشري يعتريه النقص؛ فالكمال لله تعالى وحده، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

*****

CamScanner

أهم المصادر

القرآن الكريم

١-أبكار الأفكار في أصول الدين سيف الدين الآمدي. تحقيق: أ. د. أحمد المهدي/ ط: ٢/ دار الكتب القاهرة -٢٠٠٤م.

٢-إحصاء العلوم الفارابي تحقيق عثمان أمين ط٢دار الفكرالعربي١٩٤٩م

٣-إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ط١/مطبعة السعادة ،١٣٢٦هـ.

٤- الإشارات والتنبيهات ابن سينا بتحقيق سليمان دنيا ط:٣ دار المعارف

٥-البصائر النصيرية في المنطق لابن سهلان بتحقيق د عبد الحليم محمود/ ط: صبيح القاهرة ١٣١٦هـ.

٦- تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم لجنة التأليف والترجمة مصر١٩٣٦م

٧-تجريد المنطق الطوسي ط:١/مؤسسة الأعلمي لبنان ١٩٨٨م.

٨-تحرير القواعد المنطقية القطب الرازي بحاشية الجرجانيط:٢/بيدار قم بدون

٩-تسديد القواعد شرح تجريد العقائد الأصفهاني ط:١ الكويت ٢٠١٢م

١٠-التعريفات السيد الشريف الجرجاني ط: الحلبي ١٩٣٨م.

١١-تلخيص كتاب المقولات لابن رشد تحقيق د محمود قاسم/ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

١٢-تهافت الفلاسفة الغزالي تحقيق سليمان دنيا ط:٦ دار المعارف، مصر

١٣-الحاشية الثانية العدوي على السجاعي ط٣ الحلبي١٩٧١م.

١٤-حاشية العطار على السجاعي ط:١/ المطبعة الأزهرية ١٣١٣هـ

١٥-الحدود لابن سينا، /ط:٢ /دار العرب بالفجالة القاهرة. بدون.

١٦- الحروف الفارابي تحقيق محسن هنداوي/ ط: بيروت ١٩٧١م،

١٧-الخصوبة والخلود في انتاج أفلاطون أ د/ محمد غلاب القاهرة ١٩٦٢م

١٨- رسالة في عيون المسائل الفارابي ط:١/ القاهرة ١٩٠٧م

CamScanner

١٩- رسائل الكندي الفلسفية تحقيق أبو ريدة/ ط:٢/ حسان القاهرة ١٩٧٨م
٢٠-شرح المقاصد التفتازاني، دار المعارف النعمانية بكستان سـ١٤٠١نةهـ
٢١- شرح المواقف الجرجاني -ومعه حاشيتا الفناري والسيالكوتي-، تصحيح: محمود الدمياطي، ط/ دار الكتب العلمية لبنان/ بدون تاريخ.
٢٢- الشفاء "المنطق ٢-كتاب المقولات ابن سينا تقديم د. إبراهيم مدكور/ تحقيق الأب قنواتي، ومحمود الخضيري، وأحمد الأهواني، سعيد زيد/ط: الهيئة العامة للمطابع الاميرية ١٩٥٩م .
٢٣- الشفاء ابن سينا فن السماع الطبيعي ، تحقيق سعيد زيد، مراجعة د/إبراهيم مدكور /ط: القاهرة ١٩٦٧م.
٢٤- الشفاء الإلهيات ابن سينا تقديم د إبراهيم مدكور/ تحقيق: الأب قنواتي، سعيد زايد، المطابع الأميرية القاهرة ١٩٦٠م،
٢٥- الطبيعة لأرسطو طاليس تحقيق عبد الرحمن بدوي ط: المركز القومي ٢٠٠٧م نشر الطوالع المرعشي ساجقلي زادة ط:١/ الحلبي ١٩٢٤م.
٢٦-طوالع الأنوار من مطالع الأنظار البيضاوي بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد ربيع جوهري/ ط:١/دار الاعتصام ١٩٩٨م.
٢٧-قاطيغورياس أي المقولات، ضمن كتاب المنطق عند الفارابي الفارابي تحقيق: د/ رفيق العجم ط: دار المشرق بيروت لبنان١٩٨٥م
٢٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ط: بيروت بدون
٢٩- المباحث المشرقية الرازي ط: ٢/ بيدار قم، ١٤١١هـ
٣٠-المحاورات الكاملة(محاورة طيماوس) أفلاطون تحقيق البير ريفو، ترجمة أوغسطين بربارة/ ط: دمشق ١٩٦٨م.
٣١-المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ ط:١/دار الكتب العلمية - بيروت١٩٩٠م.

CamScanner

٣٢- مطالع الأنظار للأصفهاني شرح طوالع الأنوار للبيضاوي مع حاشية الجرجاني ط: مركز بخش/ قم ١٣٩٣ .
٣٣- منطق أرسطو كتاب المقولات لأرسطو. ترجمة اسحق بن حنين/بتحقيق عبد الرحمن بدوي ط: دار الكتب المصرية ١٩٤٨م
٣٤-منطق أرسطو تحقيق بدوي/ط: وكالة المطبوعات بالكويت١٩٨٠م.
٣٥-النجاة في الحكمة الطبيعية والإلهية ابن سينا ط:٢السعادة مصر١٣٥٧هـ

مع بعض المصادر والمراجع الأخرى المذكورة في ثنايا البحث ولم أذكرها خوفًا من الإطالة والملل.

*****

CamScanner

فهرس الموضوعات

المقدمة
المبحث الأول
تعريف المقولات
أصل المقولات منطقي أو لغوي أو أنطولوجي.
موضوع علم المقولات
فوائد معرفة علم المقولات
عدد المقولات وطريق ووجه حصرها.
الأعراض التسعة وتعريفها اجمالا.
الآراء في وجود الأعراض النسبية.
الجوهر بين الأشاعرة والفلاسفة وبعض أحكامه
العرض بين االأشاعرة والفلاسفة وبعض أحكامه
المبحث الثاني
مقولة الكم وخواصه التي يُعرف بها
أقسام الكم، ولماذا ينحصر في خمسة؟
الكم بالذات وأقسامه
أقسام الكم المتصل القار
الخط والسطح والجسم التعليمي وكونهم أعراضًا
الكم المتصل غير القار وكونه عرضًا
الكم المنفصل وكونه عرضًا
الكم بالعرض تعريفه وأقسامه

CamScanner

الحركة في مقولة الكم وأنواعها.
المبحث الثالث
الكميات وجودًا وعدمًا بين الأشاعرة والفلاسفة.
العدد بين الأشاعرة والفلاسفة
المقادير بين الأشاعرة والفلاسفة.
الجسم التعليمي والطبيعي بين الأشاعرة والفلاسفة.
الزمان بين الأشاعرة والفلاسفة.
النقيضان يرتفعان بحسب الوجود دليل على عدمية الزمان.
تعريف الزمان بين المثبتين لوجوده
الزمان عند قدماء الفلاسفة واجب الوجود
تعريف أفلاطون للزمان.
تعريف أرسطو والشيخ الرئيس للزمان
الشيخ الرئيس يفرق بين الزمان والدهر والسرمد
الزمان عند الكند
الأشاعرة وعدمية الزمان
الزمان في القرآن
المكان بين الأشاعرة والفلاسفة.
المكان بين المنطق والعلم الرياضي و الطبيعي
تعريف المكان لغة وعند الأشاعرة
تعريف المكان عند الفلاسفة المشائين.
علاقة الزمان بالمكان

CamScanner

محل النزاع في المكان بين الأشاعرة والفلاسفة.
الخلاء يترتب على تعريف المكان
الخلاء بين الأشاعرة والفلاسفة.
الخلاء عند الكندي والفارابي
الخلاء كم عند الشيخ الرئيس.
الخلاصة في الخلاء..
النتائج
أهم المصادر
الفهرس.

CamScanner

CamScanner